



This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

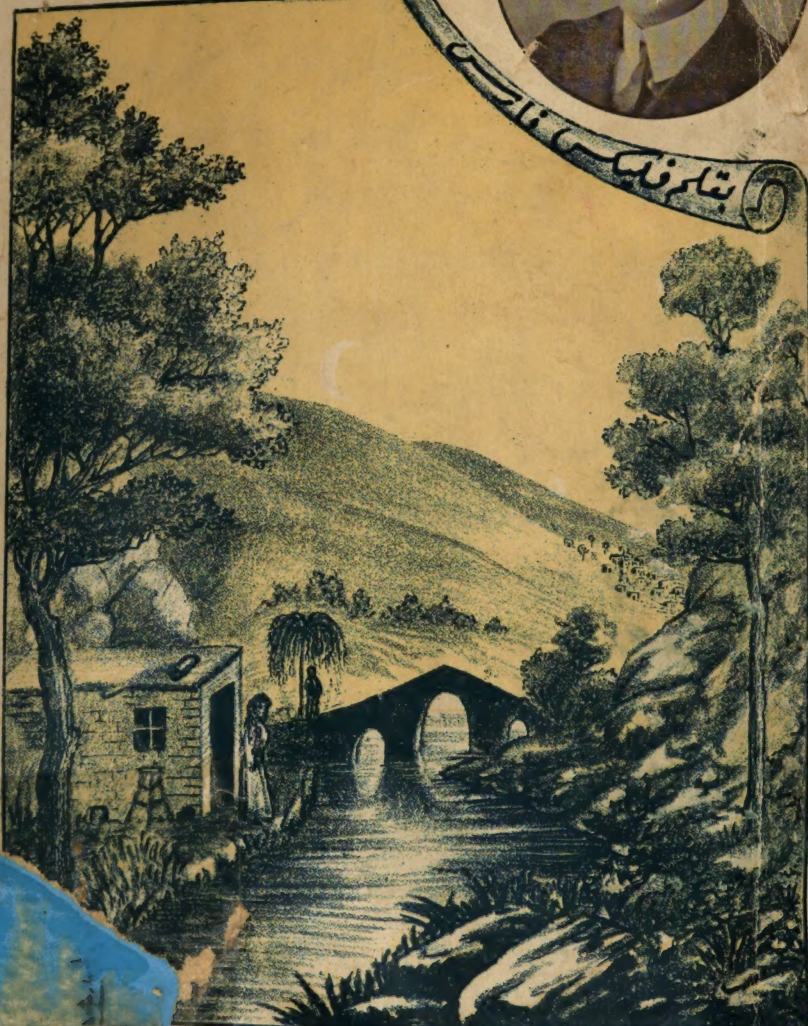
We also ask that you:

- + *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.
- + *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.
- + *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.
- + *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at <http://books.google.com/>

النجوم الى نساء سوريا



Fāris F. līks

al-Hajwā

النجوى



رسالة ورواية

الى

نساء سوريا

بقلم

فليکس فارس

(صاحب جريدة لسان الاتّحاد)

سنة ١٩٠٨



«كل حق محفوظ للمؤلف»

المطبعة الحميدية عيد جدعون واولاده * بيروت

كلمة

هذه رسالة كتبها قبل اعلان الدستور وانا تأتاهُ بين احراش
لبنان وصخوره ابكي على امتي وبلادي واخط لها بيد العجز ما
توحي اليّ الوطنية لنفعا •

كتبت هذه الرسالة والسلاسل الثقيلة رابطة على يدي فليصغ
المطالع الى خشيش الاغلال من بين السطور •
ابقيت العبارة على ما هي لان الاصلاح الذي اقصده بما كتبت
لهو اشد ضرورة بمصر الحرية منها بمصر العبودية • فمسي ان يصادف
وحي الاخلاص همةً يستهنضها او قلباً دامياً يعزيه •

بيروت في غرة اذار سنة ١٩٠٩

فليكس فارس



النجوى

الى الفاتحة عينها لنور الحياة وقلها حياة النور ، يدها على الكتاب
وعقلها يرتقي الى اوج الانسانية كفراشة الربيع البيضاء التي تزفرف
مرتقية الى ما فوق ،

الى زهرة البشرية التي تعطر الدنيا بعيرها الطاهر ، الى الواضحة
يدها الجميلة بيد القوي لتعطيه العزم والشهامة ، تنفخ اللطف في
الشدة والكرامة في القوة ومن عينها ينبثق النور الذي يقود الانسان
الى السعادة ،

الى الراكمة امام سرير الطفل ترضع جسمه الضعيف من ثديها
وتسقي روحه اللطيفة من نظراتها سائل الحب والحنان : خلاصة المبادي
الانسانية السامية ، مذوب قلب الام .

الى الجالسة جنب فراش المرض والعياء تحارب جرائم الويل
بضمفها العظام ولطفها الشديد ودموعها القوية الى منبت ابناء الوطن ،
الى جنة الطفل وحياة الشاب ورفيقة الكهل وتمزية الشيخ ، الى مرضعة
الولد الداخل الى الدنيا ومغلقة اجفان الراحل الى الابدية ، الى الف
الحياة الدنيا ويائها اوجه كلامي :

انت يا ابنة سوريا التي هزت بين جدتها أسرة اعظم الدنيا انت

سلالة تلك المرأة الفينيقية التي لم يكن قربها رجل شديد بعزمه الا
وكانت اشد منه انعطافاً ، انت خلاصة قوة الدنيا التي انفجرت من ارض
الشرق لتسود وجه الكرة باسرها انت العظيمة من قبل وراء خبائك
ومتدتك القديم بكرامة اعظم من كرامة باريسية اليوم وهي تمشي مع
الرجل قدماً لقدم. انت الحافظة في مهد الحمود الذي طرحت الزمان
عليه تلك الفضيلة الساطعة كالشمس فضيلة الطاعة لرجلك وحفظ شرفك
لربك ولبنيك انت يام ابنا الوطن وخطيتهم وزوجتهم انت الروح
الضعيفة المعذبة التي يضغظ عليها قلبها كما يشد علينا جور الزمان بسلسلة
الحديدية .

اردد ابصاري عليك يا زهرة البلاد وعبرها فلا اتمالك من دفع انين
وذرف دمة .

اراك تحتبطين في عجاج العاطفة كما يحتببط الرجل تقيساً في حياته
الاقتصادية . نحن نسقط تحت جناح الفكر المتأمل دون عزاء وانت
تحاربين قلبك وقلبك يحاربك دون أمل .

مرت عليك القرون وتتابعت على سلالتك الاعصار وانت مبددة
من اعالي جبال لبنان الى اطراف حلب الى غباص الشام الى نهر
الاردن الى ضفاف بحر الروم تسيرين سرّاً منقطعا عن البشرية يربي
الانسانية ويتبعها بكل حالاتها ولكنه بعيد عنها لا علاقة له بها
الاعن طريق الجسم والخدمة الآلية .

مرت عليك اشباح الزمان يا ابنة سوريا وانت غريبة عن الطفل
الذي يشرب من صدرك وترتوي روحه من روحك ، غريبة عن الشاب
الذي يركع امامك ولا يخاطب بذاتك السامية غير عينك وبروز
صدرك ونحول خصرك ، غريبة عن زوجك وهو يناضل في الحياة
بالفكر وانت لديه الة تتحرك بلا فهم ولا شعور ، غريبة عن الشيخ
الذي ينظر اليك كما ينظر المحارب الى فرسه بعد الممركة نظرة جنان
العاقل على ما لا يعقل ، لفته المفكر الى رفيق الشقاء وهو من نوع
مفروز وجنس آخر ... ميثاق من السنين جرت على قلبك وشاح الحمد
وعلى عقلك ستار الظلمة فكنت محبوبة لجمال جسمك ومكرمة من
تعب يديك ولكن روحك كانت محرومة من الاعتبار الذي توجه
الارواح الراقية على البشرية نحو نفسها الثانية وهي انت

بينما كان الرجل القديم محنياً على الارض يعالجها او سائراً ورا تجارتها
في الاقتار والفيافي ، بينما كان يجاهد في حياته ويدافع عن نفسه
وقبائل سوريا تتالب ممزقة بعضها بعضاً بالضغائن والاحقاد والتعصب
والجهل في ذلك الليل الاربد الذي لم يكن بحاجة للقوة اكثر من حاجته
للطف لارتقا الشوارع عن طريق المرأة كنت انت يا ابنة سوريا
مفروزة عن الالفة التي تحتاجك تحنين على ابنك وبين دماغك ودماغه
ستار قائم ، يملكك زوجك فلا يملك منك غير جسمك وهو بعيد عن
روحك النائمة على السكون . كنت عفيفة ولكن عفافك كان ناقصاً

بالوهم ، محبة ولكن حبك كان ضعيفاً بالاستعباد كانت علاقتك بمن
حولك تنحصر بالجسد وقد حرّموا على روحك الارتقال لتساوي ارواح
ابيك وزوجك وابنك ولاشيء يحمل الحي غريباً حتى في بيته كوجود
تفاوت بين نفسه ونفوس من حوله .

اما الان وقد كسرت الايام قيدك يا ابنة سوريا اما الان وقد رفعت
رأسك وتطلعت الى ما فوق فانت حرة تسلقين هذا الجدار الاملس
الذى اصطلح الناس ان يسموه ارتقاء وقد يخال لك انك ترتقين ..
انت اليوم وقد فتحت عينيك الجميلتين للنور وارتفعت اهدابك الطويلة
منفرجة عن لمعان الامل ، انت تريدان ان تحرري روحك من اسرها
صارخة امام الالفة :

(اذا كان جسدى اثناء الانسان ففسي سرير نفسه) ولكنك
يا اختي تائهة على السيل المشعب ، لقد اتبعت روحك من رقادها
كالطفل المستقبل شعاع الشفق فهو يتسكع في النور كما يتوه في الظلمة .
كنت بالامس خادمة العاطفة خاملة النفس اما اليوم فاراك قوية
المواطف وقد لامست نفسك شرارة الحركة للحياة ، اراك تضلين
وتختبين فاحزن عليك كما احزن على نصفك الضال ولكن احب الي
ان اراك سائرة ولو على غير هدى من ان اراك جامدة لا تشعرين
بوجدانك لا تني اعلم بان القوة التي تدفع الى التقهقر هي نفسها اذا دربت
تكون مبدأ الوصول الى المحبة المثلى وبلوغ ما سمح للانسان ان يبلغه

من الكمال .

انت يا ابنة سوريا، يا زهرة لبنان تريدن الوصول الى موتهك
 الطبيعي الشريف فسلام على تلك الارادة وإجلال لذلك القلب الذي
 رفعته دماء سلالتنا السامية وقدهه حسن القصد ولكن الطريق التي
 دلوك عليها والسبيل الذي دفعك الرجل عليه لهو سبيل ضلال يقود
 الى الهاوية . وارى ضعفك يتدحرج عليه وروحك المظيفة المنتبهة من
 رقابها ماثلة الى الوجود تشخصر الى بعيد وهي مرتكزة على شفاء جرف
 هار . فاسمحي ايها الروح لهذه النفس الجريحة التي علمها العذاب
 ان تنظر الى بعيد، اسمحي لهذه النفس المجردة بقوة التأمل والافتكار
 عن سفاسف الدنيا واوهامها ان تناجي بك دعامة الوطن وقوة الارض
 التي احبتها معك لانها مثلك تحن الى التراب الذي حمل سريرها .
 انا مثلك يا اختي لا انظر الى الحياة الا من وجه الشعور والعواطف .
 ان نفس المرأة ونفس الشاعر اختان عقدت يداها ما وراء المنظور حيث
 نهاية التأثيرات وغاية كل عاطفة وشعور ولهذا اقدم على مخاطبتك غير
 خائف ملاً من قلبك ولا اجهداً لفكرك فلست مكلمك بالمادة
 والمحسوس لا اخاطبك عن الخيال بل عن الاصل، عن الروح عن القلب
 الذي يترأى امامه كل شيء سواء اشباحاً مظلمة واوهاماً مضلة . فاسمعي :
 ايها المرأة التي قطعت شوطاً بعيداً من مراحل هذه الحياة، انت
 التي مر عليك ثلاثون ربيعاً وعشرون صيفاً وقد اجتزت الحريف وانت

اليوم في شتا الحياة فلا تؤملين ان تشاهدي شمساً الا في ربيع
البقاء الثاني ما وراء هذه المحسرات الزائلة ، انت يا شيخنة سوريا
التي تتذكر امال الفتوة وقلبات الشبية ولم يزل السرير الذي رببت
عليه البنين نصب عينيك اراك تنظرين الى الالفه بعين الحنان الجامد
والحب المجروح باخر مظاهره واخوتك وبنوك وابنائهم يدورون
حولك ولا يلحظون وجودك . انت تجرّين جسدك المضى وهو على
شفير الابدية لتقومي بخدمة الرجل زوجك وابنتك وبنيتك وهم ينظرون
اليك كجسد بلا روح ، كسراج بلا نور ، كدماغ جامد خلا من حياة
الفكر فلا يشترك معهم بفكر الحياة . عواطفك مجروحة كل يوم
يا امرأة الامس وصية ما قبله وشيخة اليوم .

فوادك الذي تخضع بالحب الصادق وولد الاخلاص يموت منفرداً
على مهد عواطفه . ذلك لان اباك لم يعلمك غير الطاعة ولم يوجب
عليك سوى العفاف فها انت الان نحو بنيتك كما اراد ان تكوني معه ،
ارادك زهرة بلا عطر وجمالاً بلا قوة فساعد الطبيعة الكاذبة على فشل
نفسك ودماغك فاصبحت الة تتحرك بقوة واحدة وهي قوة القلب . .
ولو امكن لالفه الامس ان تميت قلبك لفعلت ولكن العنصر او الظلم
الذي يقدر ان يميت من المرأة قلبها لم يزل كامناً في عالم المستحيل .
يقدر المرء ان يلاشي ضمير المرأة يقدر ان يفسد نفسها ويضل
اعتقادها اما قلبها فهو حي الى الابد . ولهذا لان قلبك لم يزل حياً ،

لأن عواطفك ما برحت بكل شدتها كامنة في قلب لا يجسر ان ينبض
ومستترة وراء نفس لم يعقلها التفكير والعلم لهذا انت معذبة بحبك
يا شيخه الوطن ومربية بنيه من اجل قليل من العلم الانساني السطحي
ومعرفة الاصطلاحات البشرية المتقلبة من اجل هذه الصلات التي
قلعها الرجل بينك وبين الالفه اصبحت مفروزة حتى عن اعز الكائنات
لديك .. عن ابنك ؟ ؟

اما انا ايتها الشيخة المعذبة ، انا الشاعر الذي يعلم نقص ما يعلم
وضلال الانسانية بما تريد ان تعلم انا الذي يتساوى عندي الاخلاص
فاشعر به بين العلم والتهذيب كما لا يحتجب عن بصيرتي وراء ليل الجهل
وستار الحمجية اقف امامك ولا ارى منك غير قلبك فاحني امامه الرأس
اجلالا واستميجك عفواً عن رجال اضلوك وماتوا وعن شديدة تغتر
بهذا الجهل المصقول الذي تحسبه علماً فتحتقر كل من لا يعلم . اقبل
يدك التي هزت السرير مربيةً للوطن رجالاً كنت لهم امماً واذا انت
مختلفة عنهم معرفة اصبحت لهم آمة .. تمي السير على طريق حياتك
الى النهاية ، ارفعي رأسك الى ما فوق لانك لم تنفعي الوطن بحبك
وعملك فقط بل تجودين عليه ايضاً من تماسك با مشولة رائعة تتعلمها
بناتك منك لانهن لم يفقدن الامل كما فقدته انت ... واغفري لهذا
القلم الذي يشغل لنفع بلاده ، اغفري له دخوله الى قلبك الممذب
ليخرج منه ما كتب وقد يغفر للطبيب تشريحه جثة باردة ليستفيد من

الادواء التي قضت عليها معرفة تدوي بها الاحياء !!

وانت يا امرأة اليوم ايتها العقيلة والام ، انت الملاصقة للالفة ملاصقة
تجعل لها عليك حقوقاً مقدسة ، انت الواقعة موقف العمل في ميدانك
الرحب في هذه الفوضى التي تثيرها عليك عواطفك من الداخل وآراء
الناس من الخارج اسمحي لهذا القلم ان يحول قليلاً حول قلبك ولا تخافي
منه لانه لا يبضع الا مكان الام ولا يخرج غير الدم الاسود الفاسد. وانت
تحفظين في قلبك نقطة سوداء يا امرأة اليوم تشعرين بوجودها وعبئاً
تقتشين على مادة تكوينها فاسمحي ان اخبرك عنها لان الناظر من بعيد
يرى ما لا يراه البصر الملاصق . اسمحي ان اكتب عنك شيئاً يا اختي
فان اقلام الكتاب كانت ولم تزل حائرة حول موضوع تزيينك وتمجيد
مقامك في كل اقطار العالم المتمدن اما في سوريا فقلما يهتم الكتاب بك
واذا شاء احدهم ان يكتب عنك شيئاً فاول ما يتبادر الى راس قلمه :
الفسطان والحلى والقبة . كانك خشبة بدون قلب وبلا دماغ ، لا يرى
الناظر اليها غير الاثواب التي تسترها . اما انا فلا ارى نتائج الاشياء
قبل ان اجتهد للوصول الى مصادرها ولهذا انظر الى قلبك . فياسيدي
من كنت واياك كنت ، على مقعد الحرير او على الحجر القاسي ، ابنة
المثري او ابنة الفقير ، انت دعامة التهذيب في الوطن وما اشد حاجة
الوطن الى تهذيب رجاله . انت نقطة الدائرة في كل امنية تجول
بافكارنا وانت النتيجة التي يرمي اليها الكون بحركته المستمرة فان

تصب عرق على الارض فمن اجلك يرتوي التراب، وان سالت الدماء
في كل مطلب فمن اجلك تسيل الدماء ان وجد قاتل وسارق فذلك
من نتائج سطوتك وان قام مصلح وارفع عظيم فذلك من اغراضك
ووجي المكارم عن مهبط قلبك •

ضعي ايها المرأة يدك على قلبك فهو يخبرك بما تنوء فيه الاقلام
من حقيقة اهميتك في الوجود • وارجعي ملقية معي نظرة المتأمل في
الوسط الذي يحاطك لنرى اذا كنت تقومين بما تنتظره منك الانظار
الشاخصة الى تقدم البلاد •

« انت كزوجة » • رابطة الزواج ودعامته واحدة • الحب • فهل
انت تحيين زوجك ايها الامراة السورية ؟

لو كنت مضطرة للجواب على سوالي بصوت عال يسمعه الكل
لقلت بلا اقل تردد نعم • ولكن جوابك سيخرج من قلبك فلا تسمعه
غير نفسك وانا على يقين بان هذا القلب يدفع كلمة : لا، وهو
يخفق ضعيفاً بين الخوف والرجاء •

ذلك لان الحب نفسه له ريثتان وقلب له هوأ يتففسه ودماء
تحويه له الثقة مقام الدم والاعتبار مقام الهواء وانت لاتعتبرين زوجك
يا امراة سوريابل تخافين منه انت، على غير ثقة من وحدانية امياله ولهذا
قد اصبحت ثقتك تظاهراً كاذباً كتبت العبودية عليه عنوان
الزياء • في كل بلاد الله حيث بقيت الالفة على طرزها القديم

وحيث قطعت مرحلة التطال الى الامام وارتكزت على نظام معروف
نجد النساء على حال يخولهن حق النظر الى القاب واتباع عواطفه اما
هنا حيث يقوم الجهاد بالحياة دون نظام ودون اقل ترتيب اقتصادي
حيث التاجر يكون صانعاً والصانع تاجراً الشاعر ماسك دفاتر
والتاجر صاحب جريدة حيث يندفع الكل الى الامام ويتقهقر الكل
الى الوراء . هنا . قد استتب التقلل والاختلال حتى ضاعت
سعة العيش لدينا واصبح الغني فينا يئن من وطأة الفقر ويشكو
الضيق والمسكنة فاصبح الرجل لا يتبع امياله بالعمل وكلنا نعمل بلا
لذة . .

الرجل يخلق وفي اقصى عواطفه ميل خاص يجب ان يكون
اساساً لاعماله وفي نفوس ابناء سوريا نجد اثر تلك العاطفة اشد منها
في نفوس كل الشعوب ومن اجل هذا نرى الشقاء ضارباً اطنابه ما
بيننا . ذلك لان الفتنة خرجت عن نظامها القديم ولم يتسنى لها
الدخول بنظام جديد يلائمها فاصبح رجالنا كلهم بلا مركز حقيقي
كاعضاء مختلفة عن مركزها تتألم ولا تجد للوصول الى محجتها سبيلاً .
واذ نحن على ما وصفت فن البديهي ان نراك مدفوعة كالرجل بقوة
الضرورة وضغط الاختلال الى دوس عواطفك وسماع صوت الفكر
الحاسب دون نداء القلب المحب . انت يا امرأة سوديا فتشت على
رجلك وهتاف الحاجة وضرورة الالفه يمل عليك كما يقتش هو على

اعلاء شأنه بالمادة خانقا صوت موهبته دائسا على الاستعداد الذي
اصبح لديه مورد عذاب بدل ان يكون مورد المذة والسعادة .
اجيبي يا امرأة سوريا . الم تكن الاساور والاقراط قائمة مقام
كنز الحب يوم زواجك ؟ اما كنت مخيرة بين شاب فقير وكهل
غني فارتعش قلبك المحب امام المذة والاحتياج فارتاح دماغك المفكر
امام الضحية والسعة ؟ اليس ان جسمك كان يتنعم على
على الحرير وقلبك جريح يرسل قطرات الدم فلا يراها غير الله ؟
ارجعي معي الى الورداء يا زهرة سوريا وتذكرني جهاد الصبا
وضغط التمدن والحاجة على روح الطبيعة وقوى الوجدان ، افتكري
بجمالة فسك من قبل وقابلي بينها وبين حالة اليوم واخبريني اذا كان
صرح سعادتك لا يترزع بين عواصف الحياة وهو مرتكز على اساس
متقلقل ، اخبريني اذا كانت الايام تمكنت من محسوء التفاهم الذي
وجد منذ البدء بينك وبين الذي تستندين على ذراعه . تبصري مليا
واخبريني عن ماهية الرابطة التي تضم ذاتك مع ذات بلك . وان
كنت تضعين في مهامه عواطفك فاسمحي ان اسالك هذا السؤال .
افترضي ان جنح المسكنة والشقا تدلى من عالم الغيب مرفرفا
فوق بيتك ، افترضي ان زوجك يبيع حلاك وقد ترى كل شيء
حولك من كل لامع يسهر وثمين يعجب فهل تجددين مقام المفقود شيئا ؟
الاتسادين اذ ذاك بالويل والثبور ؟ الاتظرين الى زوجك نظرة

الاحتقار والبغض ؟ نعم يا اختي ان الفتر الذي لا يولد من طبيعته غير ضيقة وتعب في القلوب المحبة لا يمكنه الا التربع على قلبك الحالي من الحب ومن حوله كل جند الشقا والحرب والويل . وليس ذلك من لوئم في طبعك كما يخال لذوي الافكار السطحية ، ليس ذلك من فساد بروحك ايتها الكائنة المعذبة بل هي نتيجة الاشياء وضرورة النتائج المماثلة لمبادئها .

انظري الى المؤمن بالله حينما تتوالى عليه ضربات الزمان كيف يستغني عن المحسوس بتلك القوة الكامنة كعبة الحردل في قلبه لتعطيه الحرارة في بارد الدهر وتنمو بالامل القوي على تربة اليأس وقطع الرجاء . رددى ابصارك على الملحد الذي تلي قلبه الامل بما يرى تأمل في بحاله وهو ساقط تحت خسارة جزئية وانظري الى قنوطه وهو امر الدمع المتساقطة من جفنيه ! تأمل قليلاً بهذين الحالين تجدي حلاً لما يتعجب منه الناس فيك .

الحب إذا الزوج كالإيمان امام الدهر . وكما ان الملحد لا يشعر بنقص في وجدانه ما دامت السعة تحتاطه والراحة تجول حوله هكذا انت ايتها المرأة لا تشعرين بغياب الحب الهك الثاني الا حينما تسقط كبرياؤك مع مجالي الابهة التي تمسقينها لانها وجدت قلبك خالياً من ملاك الحب فسطت عليه .

ايام السعة والبذخ تحين زوجك او بالجري تناسين برودة قلبك

نحوه ويوم الشدة والضيق تطلبين الاستناد الى ما يفوق الطבעه، تريد
الالتجاء الى اله الزواج وتقتشين عليه فلا تجدينه • حينئذ عند اقدام
الكبرياء الجريحة والاباطيل الممزقة لدى الاقراط البساء والاساور
المفقودة تضعين يدك علي قلبك فتشغرين بانه ميت كالجنين الممتن في
احشاء امه !! علاقتك بالرجل مادية محضه يا امرأة سوريا وليست
علاقته بك باشراف من هذه •• انت تدفين القلب في رموس الابعاد
الباطلة اما هو فيجتهد ان يقيم قلبه من الموت بقوة الجمال ويبعث
نفسه الراقدة على مضجع السكون بقوة الزخرفة وطلاء الشخص
المحبوب • انت لا تبغضينه لانه يخدم فيك ضعف الانثى ودلالها وهو
يجبك لانك آله لهوه وملجأ جسده المتعب من جهاد الحياة • :

اهذا الذي جمعه الله كيلا يفرقه انسان ؟ اهذا هو الاتحاد الذي
يجب ان يسمو على المادة ويهزأ بالمسكنة والالم والشقاء ؟

لله ما اشد ضغط المادة على الروح وما اثقل الانسان على نسمة
الازل التي تحييه !!

لا اعلم من انت يا من تقرأين هذه السطور لا اعلم ما هي طبقة
نفسك ولا ماهية معارفك من العلوم البشرية لا اعلم اذا كان كلامي
يدفع روحك الى الانحاء علي ذاتها والتأمل والاعتبار ولربما انت
الان تهزين راسك بقوة الشك قائلة :

انتي احب زوجي لان اساس زواجنا الحب وما هذه العبارات

الانحيازات شاعر يري كل شيء قتماماً .
 اذا كان هذا حكمك على ما تقرأين ايتها السيدة فذلك لانك
 قد تزوجت شواذاً عن القاعدة السورية، ذلك لانك بموقف نادر لا
 يقاس عليه . انت صحيح واحد بين الف مسقوم وطيب الادب يتبع
 اثر سينه الذي جاء من اجل الاعلاء والمسقومين . اتركي هذه المقالة
 لسواك وان كنت كبيرة النفس في سعادة حبك فاقراي هذه الكلمات
 لترديها على مسامع من حولك ممن يبكين وانت تبسمين .
 انت ايتها القارئة التي اكتب لاجلها هذه السطور يخال لي ان
 علي اجفانك دموعاً ماطرة بعد هيجان الزوجة في قلبك . لقد انحنى
 رأسك علي هذا المرقع كالامواج تحت العاصفة وسار الدم السوري
 القوي بشدة في عروقك وها ان روحك الجريئة تملل في قيودها
 وتريد ان تتمرد . .

وقفة ايتها الروح المتمردة : انني ابضع الجرح لاجل منه الدماء
 الفاسدة لا ادخل اليه السم . . الزواج هو رأس شرائع البشرية
 فلا يمكن قطعه حتى ولو امتلاً صديداً وتقيحت اهم اقسامه . لا
 يجب ان يقطع الراس بل يجب ان يداوى ، اذ فسدت يد او رجل من
 جسم الانسان فقطعها ينتج الشفاء اما قطع الراس فورا الموت .
 في البلاد الراقية او المهمة القفر حيث يسود الالفة نظام مادي مقرر
 اذا فسد زواج من بين الف وقطع فني الامر نظر يحتمل البحث

وللفيلسوف الراقي جبران افندي خليل جبران حق يرفع صوته اذ ذاك
 اما هنا في الالفة السورية حيث لا يفرد قلب واحد حتى نسمع الانين
 مرتفعاً من الف قلب ، حيث لا يوجد زواج واحد بني على الحب
 حتى ينطح بصرنا الف زواج دعامته اللوم والمال والتعصب والجهل ،
 هنا ذلك الرأس الذي يشمل طيه كل الرؤوس قد امتلأ صديداً
 وضربته القروح فما يجب ان فعل ؟

اننادي بما نادى المفكر الرائع جبران ونقطع كل الرؤوس
 لتسقط الفتا بأسرها على حضيض الفحشاء ، فيأكلها دود الفساد حيث
 لا يرجى لها بئس ولا حياة ؟

ايتها المرأة اذا كنت قرأت « رواية وردة الهاني » قبل ان
 تقع ابصارك على هذه السطور فاول ما يطراً على فكرك هو الاقتدا
 بها بكم رقيودك المقدسة والتحرر من ربقة عبوديتك الشريفة .
 وليست هذه النتيجة التي اريد الوصول اليها لانني لا انادي باستعمال
 دواء هو اشد هولاً من العلة لا اريد ان تكسر السلاسل بل اريد
 ان اعلم الاسير الباكي كيف يحرك قيوده لتسممه ريناً مطرباً ، انا لا
 انادي بهدم السجن الذي قدسته الشريعة ورضي به السجين ولا اطالب
 ان املي سوريا باطنال بلا ام وبهاء بلا حياة . بل اريد ان اقول للمرأة
 الممذبة بان في فوادها يتابع عواطف لا تتضرب وانها تقدر ان تخرج
 منه ما يخفف قيودها ويذهب جدران سجنها ، ان فتدت الجنة على

الارض بفقدان الحب فقد بقي بوسعها ان تحول وادي الدموع الى
مسكن عفاف ووقار الى متر سكينه وسلام .

بكل زواج رفرف عليه الويل وضرب فيه سوس الشقا يوجد
ضعف بالثقة والاعتبار اكثر مما يوجد برودة في الحب . واذا برد الحب
فما يحتاج اكثر من نظرة لامعة وكلمة ذاتية لتدب في ثلجه حرارة
الصيف ولكن اذا زالت الثقة ومات الاعتبار فالطامة كبرى والصعوبة
اشد . مركز الحب في العاطفة في القلب وما اخف قلب الانسان
واغرب تقلباته ، كل سنة كل شهر بل وكل يوم ، اما الاعتبار والثقة
فمركزهما في نور الوجدان في الفكر في الدماغ في ميزان الاعمال
البشرية ومبدأ الضمير الحي ولهذا لا يمكن ان يوجد حب يثبت
بوجه العاصفة ما لم يكن كشجرة عظيمة اصولها في الدماغ وازهارها
في القلب .

فيا امرأة سوريا ان قلبك خال من الازهار التي تعطي
الحياة لان اصول شجرة الحب ضعيفة في دماغك وافكارك لا تربطها
بذلك السائل الذي لا يكون الانسان بدونه انساناً وهو
الارادة ، اتمد جار عليك الرجل من وراء جور الوسط الاقتصادي
عليه فوضعك موضع الالة التي لا عقل ولا ارادة لها فرضيت بما اراد
زينك بالاقراط والحلي والفساطين كي ينوي بك الحيوان الذي يلذ
به ويميت روحك اللطيفة التي لم يتعلم ان يفهمها بعد ، رضيت بهذا

الهوان ولم يقيم اجدلنا ديك بان الرجل اضلك وانت مسرورة بالضلال
كالشارب من المبرد ينهل من دمه ولا يرتوي .
لو كنت انا من جنسك وكنت عقيلة ذات بعل واتاني الرجل
بالملايس الفاخرة والحلي الثمينة ليجمل بها جسدي ، لو زائت بعينه
بريقاً حين لبسي لهذه الحلي ولم يكن هذا اللعنان من قبل لرميت
الفسطان بوجه الرجل وقتلته :

اذهب فانت تحب جسدي فقط وانا لي قلب تجول فيه الروح
وانت تحتقر روحي كائن حيوان . . .

اذا كان الرجل يتعاضى عن نفس المرأة ولا يريد ان يرى بها غير
لذة جسمه افليس من واجبات المرأة ان تعلن قوة تلك النفس
بالصبر والثبات والتعقل واحتقار الامجاد الكاذبة ؟ اذا كانت المرأة
بكل ظرف وحالة تبرهن للرجل عن تعلقها بالزخرفة وتحول عاطفتها
الى كل ما هو لامع وكاذب افلا يذر الرجل اذ ذاك اذا حسب
الجنس اللطيف في بيته انا ، او رياشاً وضع للزخرفة والتبرج ؟ انت
يا امرأة سوريا تشكين من رجلك امرين اولهما عدم اندغام نفسه
بنفسك والثاني كسره لقيود الامانة وهو يشدد عليها تشكين منه
وتبكين وقد عمدت الى مداواة العلة مراراً فلم ينجع الدواء . لماذا ؟
ذلك لانك ضللت بتشخيص العلة ولم يسدد نظرك لمعرفة مركزها .
تريدين ان تدغمي روحك بروحه فتعمدين الى التزلف اليه

بالدلال والغنج وقد غرب عنك ان زمان التوله قد مضى وقضت
روحه مع احلام الشبية المتوارية وراء العمر • يخال لك ان التعجب
يولد اندغام الروح فانت على ضلال بظنك وانا اقول لك بانك كلما
تحيت الى زوجك بالدلال فانما انت تريد اقتراب جسمه لجسمك
وتددين المجال الذي يفصل عاطقتك عن عاطفته فاتحة هوة هائلة
من روحه وروحك •

اعلمي يا اختي بان ارواح البشر متماثلة من حيث الجوهر فقط
وهي تختلف بعاطفتها من حيث القوى التي تربها في جهاد الحياة
وما الدنيا الامدرسة النفوس تربها اشباحاً لتخرج من الباب الاخير وفي
نفس كل منا ما انطبع عليها وكون ذاتيتها • النفوس مخلوقة في الازل
لحياة الارض والارض تخلقها خلقاً جديداً للابدية • ومن اجل هذا
نجد الارواح المترامية بالاجساد على هاوية القبر تسير كلها بالحياة على
نسق واحد من حيث المادة ولكنها تنقسم الى ما لانهاية له من حيث
الداخلات المكونة وسم النفس • فمنها من تتلائم بلوغها درجة
متشابهة فتفاهم ومنها من تلتقي بالمادة وبينها وبين رفيقتها بون عظيم
من حيث الداخلات فتدافع بخشونة والم فلا يمكن لها ان
تفاهم •

وهذا التدافع والانضمام نشاهده بكل مظاهره بين رجل ورجل
ولكنه اشد وضوحاً واكبر مفعولاً بين الرجل والمرأة • ذلك لان

نفس المرأة وان تكن من المصدر الذي خرجت منه نفس الرجل فيها مختلفتان بالنوع وان توحدتا بالجنس ، ليست المرأة اثني بالجسد فقط فهي امرأة بنفسها ايضاً وليس الرجل ذكراً بجسده فقط فهو بنفسه ايضاً . ويتضح هذا من اهتزاز روحين يتربان الى بعضهما بقوة الحب الجنسي قبل ان تنبته في الجسد قوة الجنس الحيواني ، فان الاضطراب الذي يشمر به اليافع حين اتحاد بروحه بروح من يهوى لهو مخالف بالنوع عن الاضطراب الذي يهز نفسه عند لقاء الصديق فمع هذا يشمر بارتياح الشئ الى مماثله ومع تلك تشعر الروح (الرجل) الايجابية بانجذاب للروح (المرأة) السلبية فتولد قوة التجاذب من انضمام مختلفتين .

ولولا كون الرجل رجلاً ابدياً بروحه والمرأة امرأة بروحها الابدية لكان اختلاف الجنس محصوراً بالجسد التراي فقط وخلت الارض من ذلك الانعطاف المتين العرى الذي لا يمكن ان يتولد عن غير التجاذب في الانفس المختلفة جنساً والمتلازمة عاطفة .

حب الحيوان يتولد عن وجوب التماسل الارضي فهو زائل ، الحيوان يجب بفصول معلومة من السنة اي شبيه له جمعة به الصدفة فميله الفريزي بالمادة اقوى من ارادته اما الانسان فحرٌ بمباطفته لا تحكمه ظروف ولا تقيد فصول لا يحكم الجسم على روحه بامياها لان الانسان خلق وفي ذاته قوتان قوة حب الجسد لتتنازع البقا

وابقاء النوع وقوة حب النفس بترقية النفس للابد بالعواطف السامية.
ولهذا لا بد لكل انسان ان يشعر بان في عاطفته حين حب للارض
وحب للسماء.

اخاف ان اتعب دماغك يا امرأة سور يا بهذه الفاسفة المتعبة
وكنت احب ان اقرر مبداي هذا بالمقدمات والنتائج الطويلة ولكن
يكفي الان اني اوضحت لك وجود حين في هذه الحياة ولو كنت
اخاطب الرجل لكنت لا ارى بدا من الاستناد على الحقائق العلمية
اما انت فيكفيني لاقتناعك ان تناجي قلبك المركب من تراب
ومن روح فيقول لك انه احب بالروح مرة ولم يسلم من حب الجسد
احيانا.

واذا انت على ثقة من وجود هذين الحين فاسمحي لي ان اسالك
عن ماهية الحب الذي يربطك بزوجك.

اسمحي ان اجاب عنك وهذا الجواب هو الجرح المؤلم الذي
سينخرج نقطة الدم السوداء الكامنة في قلبك.

ان رابطة زواجك على ما هي لحي ادنى رتبة من رابطة الاتحاد
الذي يقرب الحيوان لحفظ النوع، الحيوان يتبع البداة وهي شريعته
فهو يتبعها اما الانسان فشريعته غير هذه ومع ذلك فهو يقتبس بداهة
الحيوان ولا يكفي باخذها على ما هي بل يدفعها الى ابعد انحطاط
بإدخال التجارة عليها. لان من بين مخلوقات الله كلها لا يوجد غير

الانسان تاجراً ومضارباً ومحتكراً بعد المحبة التي تصل اليها انانيته
فالزواج الحالي من اتحاد الروحين هو اسقط من اتحاد الحيوان لكونه
لا يتركز على حب الجسد للجسد فقط بل يرسو ايضاً على حب الاتحاد
الباطلة والزخرفة والتبرج والطمع والكسل وكل مآب البشر
وسفالاتهم ، هو مدعوم فساد في الرجل من جهة وبزخارف المرأة
وانانيته الكاذبة من جهة اخرى .

الرجل يجود بماله لينعم جسده بتمتل روحه والمرأة تجود بجسدها
بالتدليس والمراوغة قاتلة عواطفها ، اذا وجد الرجل برودة في حب
شريكته فهو يعمد الى الاطالس والحلى مقوياً بذلك شر المرأة وضلالها
وهي اذا لحظت منه فتوراً تسرف بالدلال وتبذر بالخلاعة مبتكرة انها
تداوي الرجل فتزيده ولوعاً بالتهتك وتقتل نفسه بالتدريج حتى
يصل الزوجان الى درجة لا يظنان بها ان لهما نفساً .

اغلب الزيجات السورية منضمة بقوة الجال متدسة بشريعة المال
وما بين هاتين القوتين لقد اصبغ الزواج الشتي كسنية محطمة تدخل
العائلات التعمية لقلبها على امواج الفنى والفقر تحت رحمة المذابح
واعصار الجبال وفقدانه .

ايتها العائلات السورية ما اتعن داخلتيك ، بحرب الاقتصاد
المنهك القوى من الخارج وفي قلبك حرب الحيوان الذى يتمل الروح
ويقضي على مبدأ التعزية الوحيد للانسان ، قلت لك يا امراء الموريا

بانك تشكين من زوجك كمرين الاول عدم اندغام نفسه بنفسك والثاني كمره لقيود الامانة وهو يشدها عليك وقد بحث بهذا الداء الاخير بحثاً وافياً بفصل خاص هو « الخائن والخائنة » ووجهت كلامي به للرجل لانه مخفي بطن تنج عنه كل ضلاله فاولت اقناعه بالبراهين القاطعة ليصلح نفسه ، اما الداء الاول فهو متأثر عن خطأ مزدوج يترفه الزوج والزوجة معاً ولو تمنا ملياً لوجدنا جرثومة هذا الخطأ متصلة بالاكثر في قلب المرأة وعواطفها ولهذا اسمحي لي ايتها العقيلة ان اوجه كلامي اليك .

لقد بينت لك السبب الذي تتألف منه النفوس وتتدغم به الارواح لتفاهم واظهرت لك ضلال السبيل الذي تسيرين عليه وضرر الدواء الذي تستعملينه لشفاء العلة وهاء انذا اكرر لديك القول بعث محاولة الجسد ان يكتسب محبة الروح انت تحسبين بالتبرج والزينة قوة تحول اليك عواطف الرجل فتعندين الى الملابس المتنوعة الاشكال التي تاتيكم عن موض اوربا وانت لا تعلمين مصدرها الاصلي وانا اقول لك بان هذه الانواع باللبس المكشوف الذي تحاول النساء به ضمور البطن وبروز الصدر وتضخم الردف انما هي موض تمخض بها دماغ المتهتكات فطبتن الازياء على نتائج امور اجل المتأمل عن ادراكها . . . وقد رات نساء العالم المتمكن من هذه الازياء وراين رهنها من الرجال يتبعون لابسها فخيّل لمن ان الجاذب لا يوب والتوبة للزي

فلبس مثل هذه الازياء ولم يلبس ما وراء الالكمة من الخفايا المائلة، وانت يا امرأة الوطن رأيت هذه الملابس فاجبتك لان في قلبك الساذج مبدأ حب السطوة بالحب وقد ضللت بتحسينك الجسد دون الروح، ضللت لانك تريدن مخاصمة الـ اهرة وهي من هذه الحشية اقوى منك فهم بالغب بتقليدها فانما انت تقلدين ملابسها فقط ولا يمكن لك ان تقلدي المبدأ السافل الذي اوحى هذه الملابس . في هذا العصر الفاسد الذي ضلت به المرأة من جور الرجل وامست المرأة الضالة شبكة هائلة له لم يبق من دواء لحفظ عفاف الرجل سوى غلبة المرأة الفاضلة واتصارها على المرأة الساقطة . فاعلمي ايها السيدة بان زوجك معرض بكل يوم لقوة عدوتك واول واجب عليك هو الاتصار عليها ولكن كيف يجب ان تحاربي ؟

احترزي محاربة عدوتك بسلاحها فانك معها بالنت بالتشبه لا لا تصلين الى مناهضتها ويوم تصل قوتك الى درجة قوتها في ذلك الحين تصبحين مثلها وتمتنع عليك وحدة الحب فيتحول مهد العائلة الى جحيم دائم

حولي كل قواك الى استعمال سلاح الروح فانه الضربة القاضية على عدوتك التي ماتت روحها وتحول جمال نفسها الى زخرفة باطلة . اتركي زوجك يشمر بقوة غالبية فيك تنبعث عن نفسك كما تنبعث ائمة الحياة من نور الشمس المشرقة، تعلمي ان تقبلي الشدة باللين

والقساوة بالحنان والتواضع بالظف، تعودني ان تناهضي الكذب
بالصدق والرياء بخيرية الضمير واعلمي بان المشرع العظيم لما نادى بهذه
الحكمة السامية قائلاً :

من ضربك على خدك الايمن فحول له الايسر . اعلمي بان ذلك
الفادي العارف بخفايا القلب البشري لم يطلب من الانسان الا ما
يعزز الانسانية، اراد ان يقاوم الشر بالخير لان تداوى الجراح بالجراح
والفاسد بافسد منه .

اذا خانك زوجك فاول ما يخطر على بالك ان تخويه ايتها
الامراة وما يات اذ ذاك الا خائنة نفسك انت منقمة ولست
مصلحة . اذا جار عليك فاول ما يمن على بالك ان تنادي بالويل والشبور
فتحاربينه بسلاح الفجور وكل خطوة يخطوها زوجك نحو الهوة
تسبقينه انت بمثلها الى قعر الهاوية .

لا شردي ايتها العقيلة، لا تقولي اني ظالم بما اطلب ارجعي الى
ومجدانك واسمعي فهو يتناديك بما اخاطبك به الان .

اذا كان اصلاح الفتاة موكل الى ضمير ايها اذا كانت تربية
نساء الهند ملقاة على عاتق رجل اليوم فاصلاح رجل اليوم هو من
واجب اخرائه . الرجل يربي الطفلة ويوجي المكارم الى قلب الغادة
ولكن حين تصبح الغادة عقيمة فاول واجباتها ترقية عواطف الرجل
لان الرجل الشد التصاقاً بالمادة منها هو يجاهد في الفة سوريا الضالة

ولهذا فهو اقرب الى الفساد بعده عن العاطفة المجردة . اذا وجدت ابنة ضالة فاحكم بضلال ايها ولكنني كلما رايت رجلاً فاسداً فاؤل ما يخطر على احكامي ضعف في روح زوجته ووهن في عواطفها .

نعم ايتها المرأة انت مطالبة باصلاح زوجك ، اذا كان الرجل راس المرأة فالمرأة اعظم من الرأس لانها روح الرجل التي توحى اليه بالمكارم والانحطاط دوراً فدوراً . . . وروحك ان لم تكن ساقطة الى اخر ادوار السقوط فهي دائماً ارقى من نفس الرجل لان ابوب الفساد كثيرة امامه وانت لاهاوية الاهاوية التبرج والولوع بالجمال الزائل امامك ، انت اقرب منه الى نفسك لان الرجل ملاصق في كل يوم للباطيل يمشي في هذه الحياه مجاهداً في سبيل رزقه والكبرياء . وجب التحكم والكذب والسرقة والاحتيال والخداع كلها تتبعه كجند الويل في معترك تنازع البقاء الذي جعله التمدن اشد وقعاً على النفوس من معترك الاسنة والصفاح .

بينما يكون الرجل تأثراً في مهامه اعماله وضمنط المادة يلاشي بالتدريج عظمة وجدانه تكوينين انت ايتها الامراة راكمة الى جانب السرير تقوين روحك من لمعات العالم الاعلى الذي يتجلى امامك مجرداً من بين اهداب طفلك الشاخص الى الحياه بكل مجد النفس وعفافها .

بينما يكون الرجل عاملاً بتجارته لاحتكار لقمة الخبز التي ينبتا

أخوه من الأرض بقرق جبينه، بينما يكون مدفوعاً بقوة الحاجة والتطلب
سائرًا بالظلم إلى البطر ويجمل الويل إلى الاختلاس والكفر تكوينين
انت أيتها المرأة تعدين بينك لاستقبال ضحك الرجل وتحويله إلى راحة،
لاستقبال ضامه وتحويله إلى حنان وشفقة، لاستقبال كفره وتحويله إلى
إيمان بين يديك وعلى شفاه ملائكة البشر وهم الأطفال ..

بينما يكون الرجل سائرًا في عرض الفلاة ودلى صفحات البحار
يشحذ البتار ويملي المدافع من سواد قلبه ليطلقها على أخوته مع نار
شره تكوينين انت أيتها المرأة جالسة إلى سرير الجريح ضامدة جراحه
بيدك ولفئات الحنان تسيل من مقلتيك مبرهنة له بالانحصار الانسانية
فيك وان الله خلقك هيكلًا تتجلى به روحه للانسان حينما يعنيه
الضلال . انت اذ ذاك تقولين له:

إذا كانت يد الرجل تضرب فيد المرأة تعرف ان تشفي، إذا
كانت قساوة الرجل تلقي العار على الانسانية فحنان المرأة يشتري
ذلك العار ويرفمه عنها، إذا كان ضلال الرجل وظلمه يقودان إلى
الكفر فضحية المرأة وعذوبة روحها يثبتان وجود الله .

هذه انت أيتها المرأة فاعرفي من انت، لقد قيل عنك أيتها المرأة
بانك افقدت الرجل جنة الخلد منذ البدء فمن ترى يثبت لنا هذه القصة
المحبوبة حقيقتها ورأى الأعصار الحالية ... انا لا ارجع ثمانية الاف
سنة إلى الوراء لاعرف ما هو مقام المرأة ازاء الرجل بل اذير انظاري

الى ما حولي فاتاكد بان المرأة هي تلك الحلقة الذهبية التي تربط
الرجل بما فوق وهي اذا فسدت حلقة حديدية تربطه في اللجة، اعلم بان
المرأة كائن تقيده الارض بالرجل وروحه تجول قبل الموت في عوالم بعد
الموت اعلم بان روح الرجل تعشها كثافة المادة اكثر من روح المرأة وانه
اذا صعب على الرجل ان يرقى امرأة فاسدة النفس لطبقة نفسه فليس
بالصعب على المرأة الزاكية ان ترفع روح الرجل الدنسة الى طبقة روحها .
كلمة اخلاص حقيقة خارجة من صميم قلب المرأة ونسمة منجد
تهب من روحها تقدر ان تدفع روح الرجل المتاخره الى الطبقات
العلوية التي سمح للارواح ان تسنمها على هذه الارض .

الرجل لا يمكنه ان يفسد امرأه فاضلة ويجرها الى السقوط ما لم
يستعن بقوة الجن ويمضي السنين الطوال معالجة بالاسترحام والقسوة
وهو بعد العناء الشديد لا يكفل لنفسه نجاحاً بقصده السافل .

اما الرجل فمهما زاد فضله وارتقت نفسه فهو اقل مقاومة للشر من
المرأة . لقمة فاحشة تضرم النار في قلبه، حركة نهدي واهتزاز ردف تدفع
نفسه الى شفير الهاوية .

سوطوك عظيمة ايتها المرأة لان نفسك اقوى من نفس الرجل
وسلطتك تتبعه من جنب سريره حتى ما وراء قبره وتلازمه في عالم
الارواح وفي الخلود .

اذا كانت روحك وروح زوجك لا تتفاهان فذلك لان كل روح

يتجول بطلبتها وحدها فهو أين منك وانت تبكين منه .
 إذا كنت تلحين بان زوجك ادنى منك طبقة واقرب الى الملاءة
 فأرلي معه الى طبقة وبعد ان تتمالك يدك بقلبه لا شعري جناح روحك
 اليها الملاك وارفعني مع قبضة التراب الزائلة الى طبقة الحب الخالد
 الذي لا يزول ، تدرجي به رويداً الى حيث يصبح الحب عبادة والعطف
 تقديساً . حينئذ انظري الى نتيجة جهادك وضعي يدك على قلبك
 فيناحيك بكل اسرار الحب وامجاده فان المرأة تحب الرجل الراقي
 والكنما تعبد الرجل الذي صار بفضلها راقياً .

وإذا كنت ايتها المرأة متفخخة بالكبرياء وحب التبرج قاتل
 نفسك فاعلمي بانك عبدة اميالك اولاً وعبدة الذي يتبع تلك
 الاميال ثانياً . اعلمي بانك ما دمت اسيرة هذه الساسف فليست امرأة
 بل انت حيوان ضال يسير الى الهاوية ومعه كل ما يحمل . ايتها
 المرأة انا لم اجد كائناً احكمته الاميال وتمكن من الحكم ، كل نفس
 تضغط عليها المادة لا يمكن لها ان تصالح ذاتها فكيف تقدر على
 اصلاح السوى ؟ ان الذي لا يحكم على نفسه فهو مخلوق للعبودية . اذا
 كنت لا تحتقرين الخاتم والفسطان فكيف تريدان ان تعجلي روحك
 ليعبدها الرجل ؟ اذا كنت ترين كل جمالك يحسدك وتحولن كل
 قواك للتسلط بهذا الجمال فالرجل يجب هذا الجسد الذي تحصرين
 به جمالك ولكنه لا يهتم بك ولا يفهم ان لك ذاتاً مستقلة . المرأة

التي لا تجد بذاتها غير ظرف كحيل وخصر نحيل وثغر يشق أم تقادما
 لزوجها فتكن على ثقة بان هذا الزوج سيخونها بلول فرصة تنفرج
 لديه . ايتها المرأة افهمي جيدا ما اقول : ..
 جمال الجسد يجذب الجسد الى كل جمال مشابه به فكما قدمت
 لرجلك تحسينا جديدا فتفتح قابلية غير كض وراء كل حسن انما
 وجده . المادة لا تشبع الذوق الترابي متشعب الى ما لا نهاية
 له واعصاره تهب من حيث لا ندري بمجمال الجسد يسكر
 ويؤول اما جمال الروح فيؤثر على الروح والنفس المحبة اذا فهمت كيف
 تسطو على نفس من تحب فهي تعطى السعادة وتربطها الى الابد . . .
 الرجل يمكن ان يحفظ عاطفة الصداقة الحسنيين للرجل مثله بزملة
 واحدة لان الارواح متشابهة بهم نوعا وجنسا والمرأة يمكن لها ما يمكن
 للرجل من تعدد الصديقات اما الحب المتاصل ما بين نفس رجل
 ونفس امرأة تنفاهما فذلك حب لا يقبل شركا لان الساب والاحباب
 من اصل واحد يندعمان كندغام لا يقبل الانفصال . وكما ان الثقل
 الواحد لا يمكن له ان ينتج ارادتين مختلفتين هكذا لا يمكن لروح
 الرجل ان تحب امرأتين . وكما ان الارادة الواحدة لا يمكن ان تنقسم
 لتعطين مختلفين هكذا المرأة لا يمكن لها ان تحب اكثر من رجل واحد .
 انت مغيرة ايتها المرأة بين حب الجسد وحب الروح وكل حب
 مرتكز على الجمال وقد عرفت ماهية الجمالين فادعني الى الارتقاء

ايها تاشان . قوي عواطفك كل يوم بالتدرب على كل ما هو رحمة
وجنان ومغفرة ونكران ذات ، ترفمي عن السفاسف والحدة التي تعلن
ضمف العقل فلا يطول حتى تري نفسك محقة في فضاء جديد يمدك
بقوة عجيبة تشدد روحك الى رفع كل من حولك لطبقها فيسود
الفهام بينك وبين رجلك وتكون العائلة مديونة لك بسمادتها .

ايها السيدة لا تعترضي علي مدعية بان زوجك بالغ درجة من
التقهقر تلاشي عندها كل محاولة سامية . انا اعلم بان الخير اصل لانه
ازلي والشر طاري حوال لانه عارض لا كان له بذاته ولهذا لا يمكن
ان نجد على الارض كائناً نزع منه مبدا الخير الى النهاية فتشي عن
اسباب الشر في رجلك اطمحي الى معرفة مبدا الشقا ولا تتلهي بالبكاء
على تأيجه فقط . ليس الشر الامصيبة على عاتق الشرير تمرر
روحه من حملها . ليس سكير الا ويتحرق بعد سكره ، ليس محب
للهتك الا ويسطو عليه خمود تتالم الروح منه حين يتلاشي الشبق
بعد جهاد الاجسام ، ليس سارق الا ويود الا يكون كذلك ، ليس
قاتل الا ويرتجف روحه طي جسده المنعب . ليس متكبر الا وفضسه
تتمرر من حمل كبريائه .

كل شر في الانسان له حالتان حالة الهياج وحالة الوهن
والهمود .

لم يذكر لنا التاريخ رجلاً اعظم شراً من نيرون العاتي وكان

هذا الرجل مع كل شره في حياته المملوءة بالمظالم والمغموسة بالدياء
ي مطرح احياناً بايكاً عند اقدام العرش وفي نفسه كل المصائب التي كان
يلقيها على كاهل الشعب بالعبودية والموت . فلو وُجدت في تلك الفترات
ففس سلبية راقية ، نفس امرأة تعرف كيف ترقى الارواح المنحطة الى
طبقتها لتحولت صفحة التاريخ السوداء التي تحتم ملك الرومان الى
صفحة اجماد وعظمة وارتقاء .

في مثل هذه الفترات يجب ان تتجلى روحك بكل عظمتها ايتها
المرأة ، لا تحاولي اصلاح زوجك وهو تأمل بشره لان مثل هذا الإصلاح
يستوجب العنف والصرامة وانت اذ تحاولين الحصول على هاتين
الصفتين لا تبغين القوة اللازمة لمعارضة الرجل بل تفقدين قوة عدوبتك
وشدة روحك . انتظري حتى تسقط الزوجة وحين يسطو الممود على
زوجك بمفعول رد الفعل تقدمي حينئذ واظهري النصيح بلا
تعنيف تأسفي معه على سقوطه ولا ترمي خطيته بوجهه كفساد لا يزول
لان كبرياء الرجل منبهة دائماً لتعضد كل ما ياتيه حتى الشر . فاذا جرت
هذا القسم من محبة الذات البشرية يتحول ندم الرجل الى عنف وصلف
ويبدأ ان يبرهن لك عن صلاح الشر فيصير الاسود ابيض ويجول
الحسن الى قبيح وهكذا لا يلبث ان يقنع نفسه بالحجة التي يدافع
بها فيدخل الشر الى روحه ويتأصل بها فلا يزول . اذا كان الضلال
خطأ في زوجك فلا تجوليه بتعنيفك الى صفة ملازمة كوني

حكيمة وارفعني الوهن والثرى فان من روحك اولاً وحيشذ كل كلمة
تتطيقن بها يكون لها دوي في نفس من يسمعها ان هذه العوالم السابجة
في الفضاء بنظام ابدى لهي محركة بقوة روح واحد تبتث عنها كل
الارواح المستقلة الى امدٍ وليست القوى المادية الا مظهرأ او خيالاً
لارادة تلك الروح السامية التي بدونها لم يكن شي مما هو كائن .

فاجتهدى ايتها المرأة ان ترقى نفسك الى الارجح الاعلى لتلاصق
قوى الروح الاولى فتصبح قوتك مطلقة وارادتك سالحة واجبة الاتمام
على كل من يشعر بها .

ايتها المرأة اعلمي بان التفاهم هو الذي يولد الحب الا كيدولا ليخال
لك بان الحب هو اصل التفاهم . انظري ما حولك وتمني تجدي
اكثر من شاب وفتاة كان اصل زواجهما حب مولد عن نظرة وابتسامة
وسلام فما مر على اتصالحهما ربح من الدهر حتى تحول الحب الى نفور
وحارت اللذة عذاباً اليماً . ليس التفاهم ابن الحب بل الحب نتيجة
التفاهم فاعرفي ان تميزي بين الاصل والفرع ، كوني على ثقة بان وجود
روحين في طبقة واحدة من الرقي ينتج الحب الجسدي اضطراراً ومن
الشواذ ان يقترب جسدان بالحب وينتهي اقترابهما بالتفاهم الروحي .
النتيجة لا تصير مصدراً لاصلها فاجتهدى ان تجمعك بزواجك طبقة
واحدة من الارتقاء وحيشذ تكوني اتمت الواجب الذي تنتظره
الانسانية منك وتاديك به الوطنية وقد حصرت بك نصف امالها .

ايتها العقيلة ان وجود التفاهم قبل الزواج لمؤخير من الاجتهاد
لا يجاهده فيما بعد . والوقاية افضل من العلاج ولكن هذه الالفة
السورية المقسمة باوهام العائلات وقوة المال، هذه الالفة التي رسا
ترتيبها على الظاهر واخترت بها الداخليات في النفوس لهي بعيدة جداً
عن تقريب الذاتين المتفاهمتين . وقلما تفاهم روحان في بلادنا إلا
وتتف بينهما الحواجز الهائلة سداً منيعاً . لا يوجد شاب واحد في سوريا
يمكنه ان يترك روحه تجول بين غاداتها طالبةً اختها للانضمام والجماد
السعادة، كل شاب مناقداً بمرّة وقهاهت روحه مع من يجب
فجأت قوة المادة تقطع الرباط وتجرح القلب رامية الروحين على
حضيض اليأس والقنوط . لا يوجد عادة في سوريا يمكنها ان تتبع اميال
روحها وقلما نادى قلب عادة بالحب دون ان تخنق صوته يد الحاجة
وضغط الوسط المادي .

نحن الان نجاهد في اللفة ارتكز بها كل شيء على حرب الاقتصاد
السياسي فاصبحت كل حاجات النفس مساقة بقوة المادة ولهذا يجب
على المفكرين الذين يتالمون لجرح العواطف وبيع الارواح ان
يداوا العلة من اصلها ويشغلوا الرفع الضئيل الذي يخنقنا لرضوخ
حياتنا المادية لعبودية الاجانب وحين تتفرق قوى الحياة بالتناسب ما
بين طبقات النفوس لا يحسب طبقات المال فحينئذ يمكن للارواح ان
تفاهم قبل الزواج ونكفي المرأة مؤونة الشقا الذي تتحملة والعظمة

التي نكفها اياها مداواة العلة الهائلة .

اما الدواء الذي يصفه المفكرون ايتها المرأة السورية، دواء التمرد وكسر القيود فذلك حكم يشابه مبدأ الفوضويين الذين يريدون نزع السلطة من بين الناس فلا يصلون الا لنتيجة واحدة وهي قتل افراد معدودين واهلاك القاتل نفسه

هكذا انت ايتها المرأة اذا تمردت على رباط الزواج فلما انت جارحة لمبدأ الشريعة جرحاً واحداً ومشخنة ففسك بالف جرح . لم نر اليوم امرأة تركت زوجها في سوريا ولم تتلقفها الايدي الغريبة مراراً لتطرحها اخيراً الى الموت الهائلة الفائرة فاها لا ابتلاع الازهار الجميلة التي اضلها الريح ودفعتمها عواصف التمرد الى سبيل الشقاء .

ابقي ايتها المرأة في بيتك واعلمي بان مملكتك محصورة ضمن هذه الجدران التي اخترتها لك مسكناً فان كان هذا المسكن خالياً من الحب فذلك لانك ساعدت الرجل على طرح الروح من نوافذه . اذا كان هذا المسكن مملوئاً بشياطين الفيرة فذلك لانك رضيت من الرجل حبه لجسدك وحصرت كل جمالك بالظواهر الكاذبة .

مهما كنت محرومة من الجمال ايتها المرأة فمن السهل ان تصيري اجمل من اجمل امرأة . اذا كانت قامتك محدوبة بلا ارتفاع ولا تناسب فالحركة التي تعطىها الروح الراقية للجسد نجعل قامتك هيفاً وخطواتك كلها مجد وعظمة حقيقية . اذا كانت عيناك صغيرتين بلا معنى

ولا قوة فحين ترتقي روحك يخرج من بينه اجفانك نورٌ يكشف نور الشمس ويدخل الحياة بمن حولك . اذا كان فمك واسعاً ضخماً بلا اقل جمال فحين ترتقي روحك تمر على شفاهك ابتسامة تجعل المصائب سعادةً والظلام نوراً باهراً .

لقد سمعت مراراً رجالاً يقولون : ان فلانة ليست جميلة ولكن بها شيئاً لانعلم ما هو يقبض على روح الرجل فيجعله اسيراً . فالى مثل هذا الجمال قد حولت ابصارك يا اختي وهذا هو الحسن الذي علمتك ان تكتسبيه .

اول شرط لبلوغ الجمال هو اهمال الجمال حتى يتولد حسن النفس ويعود منصباً من الداخل الى الخارج فيصبح جمالاً حقيقياً ينشع امامه الناظر وهو لا يعرف ماهيته

اذا قت بكل هذه الواجبات التي خططتها لك وبقي الرجل مستمراً على غيه ، اذا بقيت روحه جامدة لا تشعر فذلك لان داءه داء عياء خلوه من كل عاطفة وسقوطه الى درجة الحيوان ، ذلك لان روح ذلك الرجل لم تعد مرتكزة على احدى طبقات النفوس البشرية ويخال لي انها اتت الى العالم لتخرج منه محملة بالرجاسات والدنايا التي تكون ذاتية حياتها الابدية . ومثل هذا الرجل يندر وجوده ان لم اقل يستحيل وان كانت الإقدار قد القت عليك مثل هذه المصيبة الهائلة فان الحياة لم تحرمك من موضع تسكين عليه حبك المعذب ،

انحنى على السرير ايتها الام ورفى نطفة حياة الرجل الذى تتردى على
مجدك السماوي، علمي الانسان يفهم اتحاد الارواح فان الولد الذي لم
يجب امه لا يقدر فيما بعد ان يدغم روحه بروح جنسك السامي .

انت ضحية رجل لم يستمد من عيني امه ذلك الشعاع الذي يرثه
الانسان ويتركه لمن بعده الى نهاية الدنيا . لست ضحية الرجل ايتها
العقيلة التاعسة بل انت ضحية ام مثلك فاعدي لاختك في الجنس ولداً
لا يتردد على نور الحياة التي يبعثها الله من جنانه الى الارض متألقة
من بين اجفان الملاك الذي يعزي الانسان ويذكره بالابدية .

واذا حرمك الله من الطفل وكانت روحك ارملة وكان زوجك
حيواناً تسلطت الاثنية عليه فلا يشعر بوجود شي غير ذاته ، اذا كنت
بهذه الحالة ايها الملاك الشهيد وحاولت عبثاً ان تتفاهمي مع زوجك
فاعلمي بان روحك المرتقية هي حرة في طبقتها السامية كالهواء على
جبال صنين . انظري من علو مجدك الى الحيوان السافل الذي
يملك جسداً وتأسفي على مخلوق يكفيه قصاصاً انه محروم من تعزية
انضمام الارواح وليس الجحيم في الابدية غير افراد النفس مع شرها
وحرمانها عذوبة الارتقاء . اما انت فليست نفسك منفردة في طبقتها
هي تلامس الخير والحق وحين تلمس روح زوجك الساقطة فينثذ
تبعث من ذلك التقارب شرارة تنير قلبك وتحرق قابله . هي شرارة
الضحية السامية التي ما برحت منذ بداية العالم تجول في كل طبقات

العالم ، عند اقدم العروش وفي زوايا القصور والمحاكم والكنائس
والسجون ، على مناضد الكتاب ومن فوق منابر الخطباء ، هي
شرارة الضحية التي لمعت منذ عشرين قرناً بكل قوة النور من جنب
الفادي فحملتها كلمته المقدسة من قرب الموت لتدخل الحياة في
الموت ، تلك الكلمة التي يجب ان يتعلمها كل عظيم وهي :

اغفر لهم يا رب لانهم لا يدرون ما يفعلون .
ايتها الامراة لك اسوة بالنفوس الكبيرة التي لم تفهمها صفارة
الوجود فسلام على روحك لانني اعبد بها اله الضحية .

..

لقد كثرت لفظ الكتاب في تحديد واجباتك كأما ايتها المرأة .
امتلات الجرايد وشحنت الكتب مناديةً بوجوب ارتقاء الوالدة
لتهذب بنيتها وتزييهم على المبادئ الحسنة الرفيعة حتى اصبح كل
منادٍ بهذا الموضوع كالمنشد اغنية يتشدق بها اولاد الاسواق وغدا
هذا البحث متبذلاً يعطيه المعلمون موضوعاً لتمرين الصبيان على الانشاء
بين جدران المدارس .

انا لا اريد زيادة صفحة جديدة على الصفحات التي طرحها الابتذال
على حضيض النسيان والقتها الايدي موضع الضجيج الذي لا يتجاوز
تأثيره منمّول تحديث الاذان .

لقد كتب علماء الاخلاق كلاماً مطولاً في موضوع الام فذهبت

بعض اقوالهم مثلاً وبقي بعضها في المجلدات الضخمة التي لا تصل اليها ايدي الكل فاتخذها رهط الكتاب مورداً للاتحال مرددين في الالفه السوريه ما هو فضلات المفكرين وكسرات تتساقط عن موائد المنشئين .

ان مثل هذه الاقوال المجموعه نثراً من كل مجموع لا تضمها قوة موحدة ولا يدفعها الى الاستنتاج منطق صحيح لهي كالارياح العاصفة من كل جهة تتلاطم قواها على المحجة فتحطمها ولا تديرها . هذه الاقوال التي تخاطب العقل تارة وتلمس القلب اخرى تقع على شعور الام فتزيده هموداً اذا كان هامداً وتدخل اليه الضجر اذا كان متنبهاً .

ايتها الام لا تخافي ، انا لا اكتب لك فضلاً من هذه الفصول المملة المملوءة بالمواعظ المتناقضة . ان ما ستقرأينه ليس كتابه فيلسوف ولا قصيدة شاعر ، ليس ذلك مواد شريعه ولا صوت كاهن ينادي على المذبح ، ان ما ساكتبه لهو اعظم من صوت الفيلسوف ، هو اقوى من قوة الشريعه واعلى من هتاف الكاهن . هو كلام لولد صغير بكى فسمعت بكاءه يدوي في الالفه كالرعد وتساقطت دموعه فالتقطها برأس هذا القلم الذي تعود ان يغمس في الدموع ليجفف الاهداب المبللة من ضلال الانسان .

رأيت ولداً بلا ام يردد مع الانين ما لم يكتبه فيلسوف من واجبات الام فاصغيت اليه طويلاً حتى تبين لي انني لا ابلغ نصف

فصاحته مهما تأملت وكتبت فعرفت ان المفكر لا يمكنه ان ينطق بكلمة تصوّر الاشجان كالكلمة التي تخرج من قلب المضروب نفسه .
مهما بالغ المفكر في تحديد واجبات الام فلا يمكنه ان يحددها كالطفل الذي يشعر بوجودان لم تكيفه اراء البشر واضاليلهم .

فيايتها الام ويا ايها الغادة السائرة بحم الله الى الامومة طالعي بامعان هذه الرواية الصغيرة التي انقلها لك كما وردت لي بعباراتها الساذجة واقوالها التي تعلو بضعها على كل قوة . اتركي فلسفة الاخلاقيين ولنقط الكتاب المختلفين على كيفية تربيتك واسمعي صوت الطفل فهو صوت من الله ، تعلمي منه واجباتك فقد كنت مثله طفلة وشعرت مثله بتلك المحبة البنوية التي تلامس العبادة واجتهدي ألا تدعي ابنك يعبد بك صنماً مدنساً لثلا يتعود الركوع امام باعال والسجود امام الصنم الذهبي

﴿ اعتراف ولد ﴾

كان لي أم أجمل من كل الامهات ومن كل النساء . اذكرها وهي محنية فوق سريري تتجلى لعيني باغرب جمالها الساحر فتلقي علي جبينني قبلةً تترك بعدها غيراً سماوياً يتضوع طويلاً بين ستائر مهدي فكنت اتبسم لمراها وانظر اليها كنظري لشعاع الشمس اولتموج الالوان السبعة في الافق . كنت افرح لقربها بكل القوى السامية

التي اعطاها الله لنا نحن الاطفال .

كنت احب ابي واحب مرضعتي اما امي فكنت اعبدها وما
تفردت وحدي بالاعجاب بها فان كل ناظر اليها كان يشعر بمظنة
جمالها وكم من مرة سمعت الناس يقولون وهم يتأملون بملح وجهي :
لا عجب ان يكون هذا الصبي جميلاً فان امه الهة الجمال . وما اشد
ما كان فرحي حينما صرت اخرج معها الى المدينة لابسةً سروالي الاحمر
القصير متمسكاً بيدها وهي تخطر كالغزال بل كروح لا تمس الارض
رجلاها فتستأسر الابصار واسمع من كل فم كلمات الاعجاب حينئذ
كنت اشعر بحركة غريبة في فوادي الصغير وانادي بصوت عالٍ :
يا اماه ! يا اماه !

فتجيبني : مالك يا ولدي

فاسكت . وما كنت انادي هكذا الا ليعلم الكل ان هذه

هي امي الجميلة .

ولست اذكر اني اغضبتها بتصرفي ولا مرة وكان يكفي لوصيفتي

ان تذكرني بوالدي لاجم عن كل عمل مغاير لارادتها .

وكان لي ان ارى امي مرتين بالنهار فقط فاذهب اليها لتسمع

مثالي فاذا اجدت بحفظها سمحت لي بالبقاء في غرفتها وهي تسرح غداً

شعرها الذهبي المترامي على اكتافها كحلقات تشبه النجوم التي تترجع

في كبد الضحى .

كم كنت احب في ذلك الحين ان اسمع صوتها الرخيم يكلمني
بهدهو ولكن الامهات كثيرات الشغف بكل ما لا يدعى واجباً .
فكانت افكارها مشردة تترفع عن السقوط الى درجة فهم ولدها الذي
يعبدها ..

كان لامي فساطين عديدة تجربها وزيارات متتابعة تقوم بها
واشخاص عديدون تتلهى بحبهم غني . وكـم من مرة ذهبت الى المراقص
باول الليل ولم ترجع الا بعد رقادي فحزمت منها قبلة المساء ..
واذ كر بان مرة سمح لي بالسهر لبعـد عودتها من المرقص كي
اراهـا بثوبها الجميل فلما دخلت الى البهو الكبير بعد ان اعياني الـهـجـود
رأيتها مسرولة بالحرارث وقد ظهر صدرها كبرج عاج عليه الثديان اللذان
ارضعاني مطلوقين لكل ناظر فانبهرت عيناى من هذا
المشهد وكدت لا اعرف امي تلك الغاية الهيفاء لو لم ينبض قلبي
بشدة فجثوت على ركبتي ولم اجسر ان امس طرف ثوبها فقالت لي :
مالك لا تقبلني يا ولدي ؟

فشرقت اذذاك بدموعي واجبت :

- انت جميلة جداً يا اماء . انت اجمل ما ارى .. لا تتركيني ..
ابقي معي دائماً . فكان جوابها :

- الا تريد ان تسكن روعك ايها المجنون اين الوصفة لتأخذه
الى سريره .

ولما بلغت السادسة من عمري أرسلت الى المدرسة فكنت ارقد مع بقية الاولاد في غرفة النوم الباردة واتأسف على حالتي غير ذاك من ماضي شيتاسوى امي ...

وكانت تحضر كل اسبوع لمشاهدتي فافتخر بها لكونها اجمل كل امهات رفاقي تستجاب انظار الكل للتأمل بها . فكنت اتمسك بثوبها مخافة ان يخطفها الناس مني ولكن وآسفاه ذلك الفرح لم يكن ليدوم فان امي كانت تخرج من غرفة المقابلة قبل انقضاء الوقت المعين فاتبها الى خارج المدرسة وهي ماسكة يدي الصغيرة والجموع شاخصة اليها كأننا قران .

وما كانت تتوارى عن ابصاري حتى اعود الى مقامي مشرد الفكر وقلبي الصغير منقبض يقطر دما . فاذهب الى فراشي للرقاد دون ان يزور الكرى اجفاني لان فكراً واحداً كان يملك عقلي وهو : امي ، فأتسأل بحزن :

لماذا امهات رفاقي يلبثن طويلاً عند اولادهن وتقبلنهم باشد الحنان وتحضرن غالباً لمشاهدتهم مع ان امي ترفق حنوها بالضجر فهل ان الجمال يسبب القتور في الواجبات ؟

وما طال حتى اعترتني حمى خبيثة ذهبت بقواي فأرسلت الى مستشفى المدرسة ومنه الى البيت فازدادت الآمي ولكنني نسيته اذ رأيت امي جالسة قرب سريري تمردها اليضاء على جيني المحترق

فكان داءى لديها وهما واصبح عذابى قربها نغذاباً . وما عاد اليّ روعي
بعد ما تحملت من ضنى المرض حتى رأيت دلائل التعب بادية على محيا
امي العزيزة فزادت معرفة الجميل قوة حبي واصبحت واداً لوانتي
ابقي مريضاً ولكنني لم البث حتى عادت اليّ بعض القوة فلم اعد
ارى امي الا نادراً واخيراً تحسنت حالتي فلم اعد اراها ابداً
فوددت اذ ذاك ان تعود الحمى اليّ لاموت .

وبقيت بعد هذا طويلاً في البيت واني يعتني بي فعرفت حينئذ
من نفسي محبة صادقة لابي الذي كان يلازمني وهو شاحب الوجه
ودلائل الحزن المذيب تلوح على محياه ككل الأزواج ذوي العقائل
الجميلات الطامحات الى اللهو والبذخ . .

واذ كنت مع ابي على افراد قلت له همساً : اليس ان كل
الناس يحبون امي لجمالها !

فاخذني بذراعيه دون ان ينبس بينت شفة ولكنني شعرت
بخفضان قلبه اذ قبلني .

..

وبلاه ماذا جرى فاني اتعس الابناء . انني اشد حزناً من كل ولد
على الارض ولا اقدر ان اشكو احزاني لاحد . لقد تركتنا امي فاين
هي ؟

من يعلمني بمقرها ومن اسأل عنها ؟

ان ابي حزين جداً ويخال لي من ملاحمه ان امي ميتة فهو
يبكيها .

ولكن كيف ماتت ولم ارها كيف تكون ميتة ولا نلبس عليها
الحداد ولا نذكرها بالصلاة ؟

جربت مراراً ان اسأل عنها ولكنني عبثاً حاولت التغلب على الجبن
المستولي عليّ فكانني اذ اريد الاستعلام عن امي متقدم على جنائيه او
ساير جرحاً دائماً . اواه كم اغبط الاولاد الذين لهم امهات لا يختلن
الا بجمال النفس دون ذلك الجمال الحسي الرائع الذي كان سبب
اتجائي فامسى اصل بلواي وحب الي الموت . نعم انني اريد دخول
القبر وارى ابي يتوق مثلي الى الفناء .

اواه ما ارهب ذلك السكوت الذي يحلل والدي وهو جالس
على كرسيه يشغل بالكتابة ويده سائرة جبينه المصفر . ادخل الى
غرفته بهدوء وامسح اقلامه وامتنع عن اللعب خشوعاً لدى حزنه ، اسير
اليه مقبلاً يديه فيحفظ الصمت وانا ايضاً لا اجسر على رفع ابصاري
الى وجهه الشاحب فلقني رأسي على صدره ولا نلبث حتى تمتزج دموعنا :
دموع الزوج التبعس ودموع الابن المتروك فتجري ببطء دون ان
يراهما احد في افراد تلك الغرفة القاتمة .

..

يوم الاثنين الماضي وُضعت في غرفة مظلمة طول النهار ومع ذلك

كنت مسروراً . ذلك لان وصيفتي كانت تتكلم مع رفيقة لها مسنة
وقد دار الحديث على اناس يسمونهم باهل الفساد ولم اعرف من هم .
فقالت العجوز وهي تنظر الي : .

اتأسف على ولد كهذا تكون امه فاسدة القلب وشقية الحياة .
وما سمعت هذا الكلام حتى اصبح كل شيء امامي ناراً ودمماً .
فهبيت كالاسد المجروح الطم العجوز بكل قواي وارفسها برجلي
فكان جزائي السجن في غرفة مظلمة لا نني دافعت عن امي .
نعم انني بقيت بياض النهار في ظلام سجنى وقلبي يحتاج فرحاً
اذ تعذبت لا تار لتلك الام الغائبة التي تركت ولدها فادفع عنها تهمة
الذين يهينونها .

لقد مرت الايام الطوال وامى لم ترجع ، ويلاه لقد اصبحت بلا ام
لقد اختلسها الناس منى وابعدوها عن حب ابنها الصغير . نعم لقد
سرقها الغرباء دون ارادتها اذ من المحال ان تقبل بترك ولدها الذي
كانت تمر يدها على شعره وتقول له . .
يا صغيري العزيز .

لقد اختلسوها لانها جميلة .
ويلاه يا رب اسمع طلبتي واعدها الي ولو مشوهة الوجه قبيحة
المنظر فاني اجدتها دائماً جميلة .
ارجعها الي يا الهي فما من شيء اصعب على الابن من ان يدعى

يتيماً ويبكي اماً اجهاً بكل قواه وهي لم تزل تتخطر في مروج الحياة .
(انتهى)

ايتها القارئة المنحنية على هذه السطور، عادةً كنتِ او عقيمة او اماً اذا كانت مدامك لم تزل جافةً فذلك لان عاطفة البشرية قد استجبرت في قلبك الجامد . اذا سمع رجل نداء طفلٍ يتعذب ولم يبك فذلك الرجل لا يزيد نقصه عن القساوة . اما المرأة فانها مطالبة بالحنان على اغراس الانسانية التي يبروها الذبول فان لم تحيها من حرارة القلب وتسقيها من مورد الدمع فتلك امرأة شاذة عن مبدأ طبيعتها . تلك ام بربرية متوحشة !! وانا لا اكتب لمثل هذه الصخور الجوامد . انا اكتب للجنس المطيف السامي الذي ينزل الله على صفحات قلبه كل ما في الدين من آيات العظمة وفي الادب من مبادي الكرامة والمجد .

انا اكتب للمرأة التي تتأثر وتبكي لان البكاء في المرأة هو عنوان لشدة نفسها وقوة قلبها ، فسلام على العيون الدائمة واجلال للقلوب الرقيقة النابضة بالحنوء طوبى لليد الناعمة التي ترتجف من وراء اختلاج العواطف المنبثقة من الازل ولم يقتلها ضلال الناس وزخارفهم واجادهم الباطلة .

ان المرأة التي لا تسمع نداء الادب ولا تفهم كلام الفلسفة فهي جاهلة متقهرة . اما الام التي لا تسمع نداء الطفل فهي مجرمة تستحق

الاحتقار .

هل عرفت ايها القارئة مبدأ الفيرة الساية التي تدفقت من حديث
الطفل المعترف بآدق ما يشعر ؟

ليس الولد غيوراً عن انانية يولدها ضلال الاحساس لانه اقرب
الكائنات الى الازل فشعوره عادل طاهر لم تكيفه الاعتقادات
البشرية ولهذا ففيرة الولدهي غيرة النفس على حقوقها المكتوبة في
شريعة الوجدان .

لما كتبت عن واجبات المرأة كعقيلة لم اجد بداً من تحديدها
لانها تتراوح بين اعتقاد الزوج واميال الزوجة . كتبت وحددت لان
الالفة المنقبة بشرائنها واوهامها كانت ولم تزل تعطي للرجل وللرأة
دوراً فدور حقوقاً جائرة وحرية ظالمة فرجعت بوجداني المجرد الى مبدأ
المواطن الى النفس واخرجت منها شريعة التفاهم والعدالة التي
يجب ان يعتبرها كل زوج وزوجة يطلبان السعادة بالحب والمجد الحقيقي
بالحياة .

اما الان وانا اكتب عن الام فاجدني واقفاً بين كائنين الاول
معرض للضلال بالاهواء ومحبة الجمال الزائل والثاني لا يعرف مبدأ
لشعوره غير ما غرسه الله في قلبه . فلا اجد موجياً للرجوع الى نفسي
واستنتاج شريعة الامومة من وجدانها المجرد ، لماذا اكتب عن واجبات
الام وقرب كل ام ولد كتبت شريعة الامومة بكل حركاته وسكناته

كتبت على جبينه وعلى ابتسامته حفرت على لفتاته وسالت على خديه
مع دموعه .

ايتها الام اذا كنت تريدن معرفة ما يجب عليك نحو ابنك
فتنازلي من علو زخرفتك وحبك للهو الى ملاحظة ما تظهره اعمالك
على اسارير وجهه وعلى تلك الصفحة المقدسة طالبي وصايا الفضيلة التي
حفرتها اصبع الله .

انظري ايتها الام كيف يتملل ولدك حينما يراك ترقين ابتساماتك
الى كل من حولك . . . اتبهي الى حركته الموجهة حينما يقترب
اليك غريب يهمس في اذنك كلاماً لا يسمعه ولو سمعه لما فهم منه
شيئاً ! . . .

انظري ايتها الام الى ابنك تسيل الدموع من عينيه حينما يخطر
لك ان تبارحي البيت قصد التنزه وحدك اسمعي زفيره وافهي منه
ما يقول

- لا تذهبي وحدك يا اماء . خذيني معك فاكون لك حلية كهذه
الحلى التي تتخرن بها بل اكون اشد لمعاناً منها ولكنني احرسك كما طفلة
مقدسة ارد عنك هجمات الشر كجناح كله قوات سماوية . مناغة من
في تطرد الابلال من حولك وابتسامة من شفقي تبدد ارواح الشر
التي تريد الايقاع بك . دمة من عيني تذرك بعمدك وايمانك .
خذيني معك لان ضعفي اقوى من سلاح الجنود ولفتي اربح من

حكم القضاة

ولكنك ايتها الام قلما تسمعين لهذا الهاتف الذي يدوي من
السحاب بقوة الالهية فيصل الى اذنك المصغية لضجيج الاجتماعات
المضلة كأنه صراع مزعج يدفعك الى الحرب ..

بعد عودتك من المرقص ايتها الام السورية واث مرتدية ثوباً
مكشوقاً يعري زنديك ويطلق نهديك للانظار عندما تدخلين على
ابنك بهذه الصورة وفي قلبه دماء اجداده السوريين تجول بقوة
تضيق بها انفاسه حينئذ تمنني بلفاته وقد اتقدت بها نار السماء وجالت
بينها غيرة النفس الابدية من ضلال الكبرياء الزائلة . تمنني وافهمي
ما تعني تلك الدمة المحترقة التي تجول بين اجفان الولد وهو لا
يحسب ان يجود بها .

تلك الدمة تقول كما قال الفادي العظيم عن هيكمل اورشليم :

بيتي بيت الصلاة يدعى وانتم جعلتموه مغارة للصوف :

تلك الدمة تقول :

يا امامه ! ان زنديك خلقا لتربيتي واوجدا وسادة لراسي ان
نهديك خلقا ينبوعاً لما حياتي فن قال لك ان هذه الكنوز اوجدت
لخدمة البهجة والكبرياء القاتلة اية شريعة اوجبت لك ان تدنسي
هيكمل ابي ومزكع نفسي التي تناجي خالقها من بين ذراعيك ؟ من
حلل لك ان تجعل هذه الكنوز التي وقفها الله على العيلة محجة للشهوات

كتابة صفحة الى خطيبة شبانه وامرأة غده . وليست هذه الصفحة الا خلاصة الصفحات المتقدمة ويكفي للآنسة ان تتمتع ملياً بما خاطبت به المرأة لتتعلّم من ادواء اختها ما يكفل لها حسن المقبل والابتعاد عن التورط والسقوط .

ايتهيا الآنسة انت اليوم بموقف يباين موقف امرأة اليوم حينما كانت آنسة مثلك . وسطك اشد ضللاً وكل ما يحتاجك يتكاتف على اللقاء الموان عليك ، امرأة اليوم كانت ربع متمدنة وها هي الان تن وتشكو وانت اليوم نصف متمدنة فسوف يزيد انينك عن اينها ويرو عذابك على عذابها اذا لم تتداركي الشقا قبل حلوله .

ايتهيا الغادة ان مباديك ستكون اساساً لالفة الغد لان علم الرجل ينحصر تأثيره على ثروة البلاد وفقرها اما انت فن علمك يتكون ادب الامة ومن قلبك تنبعث سعادتها . وانت اليوم تحصرين علمك بما يقهر ادابنا وتر بين قلبك على ما يولد شقائنا .

يا ابنة سوريا ان لكل شعب تمدناً خاصاً ولغة خاصة يجعلانه مميزاً عن بقية الشعوب اما بنو سوريا فهم اليوم خليط من كل امة آدابهم مجموعة من اضاليل كل الامم ولغتهم ممزوجة بكل لغة . فقدنا استقلال التجارة والحاصلات فاجبرنا الاقتصاد السياسي على التوسع بعلوم الاجانب واتقان لغاتهم . وهذه هي اول مظاهر العبودية في الشعوب . نحن تعلمنا الافرنسية والانكليزية واهملنا لغة اجدادنا لان

ارضهم لم تعد تدر علينا ونحن لم نعد نخو عليها. تعلمنا هذه اللغات لان
 تمدنا سبق قوانا فانسخت اعمالنا عن اميانا ولو امكن لابناء سوريا
 ان يعيشوا بوحدة لغتهم لما فضلوا عليها لغة وما القوا وراء المحيط رخالاً.
 رجل الوطن مضطراً ان يتفرنج بلسانه وليكن انت يا غادة الوطن
 واساس ادايه من اجبرك على ادخال التفرنج الى اعماق قلبك؟
 اذا كان التفرنج متسلطاً على السوق والمكتب والادارة بقوة
 الضرورة فاية ضرورة صيرت مهد اطفالنا خالياً من كل هيئة سورية
 وكرامة عربية؟ ايتها الغادة ان رجالنا مضطرون الى التفرنج بلسانهم
 وبدفاتر تجارتهم ولكنهم سوريون بقلوبهم عرب بادابهم والكنى انما
 دام الحال على ما هو من امر تهذيبك فسوف يصبح السوريون
 اجانب حتى باعماق قلوبهم. دماغ الرجل موقوف على اعماله اما عواطفه
 وامياله فموقوفة على عواطفك وامالك.

ليقو حب الوطن في قلبك ايتها الغادة فلا يلبث حتى تري الرجل
 يهرق دماءه في سبيل الوطنية. تعلمي لغة البلاد وتعودي ان تلذك
 ادابها ويحرك قلبك شعرها فلا يطول الزمن حتى تري اللغة مرتقية
 واشمارها ترن في الحافقين وكلها وحي العواطف ومودع الادب والرقى.
 اما اذا بقيت محولة كل قواك الى اقتباس لغات الاجانب وتقليد
 تمدنهم بكل ما هو ناقص ومشين فسوف تصبح الفتنة كجموع قردة
 تنقله بلا مبدا وتتحرك دون محرك اولي معقول. سوف يصبح

كتابنا المائين وفرنسين⁷ وانكليز فتحول قوة الفكر السوري الى لغات الاجانب لاجل ارضاء ذوقك الضال فيضحك الاجانب من ضحكتهم وكان يمكنهم ان يكتبوا بلغتهم مفيدين مجيدين .

سوف تصبح مجتهداً موضعاً لتبليد اللسان كأننا امام برج جديد قيمه بضلالتنا لبابل المصرية سوف يشب اولادنا على صفات كلها خارجية وتحاولوا قسهم من الوسم الداخلي الذي يميز الشعوب ويمطي القوة للامة . . .

وكل هذه المصائب التي اراها معلقة بيدك تسقط على الالفة الوطنية انما مركزها في ذوقك واصلها من عواطفك .

ايتها الغادة ان كاتب هذه السطور لهو سوري لبناني من ابيه واجني افرنجي من امه . ان الذي يكلمك الان بالعربية لم يسمع غير الافرنسية حتى نهاية طفولته رضع لغة الفرنسيين مع اللبن ولم تنمض اجفانه في السرير الا على اناشيد تلك اللغة .

نعم ايتها القارئة العزيزة لكنت احق الناس او اقربهم الى المذرة لو (تقبعت) وقرنحت ولكنني اعدنا كرا الوطنية خائناً والمتبرر من شعبه الضعيف جباناً وانا لا اريد ان اوسم بالحيانة والجبن . طربوشي شعار عثماني التي افتخر بها فلا ابدله بقبعة سفير وسوريا بلادي شعبها الضعيف اخي فاحب الي ان اكون ضميماً معه من ان اكون قوياً مع الشعب الذي تقربني صلة الرحم اليه . ولو لم يكن اسمي ذكراً الوالد

امي احفظه كارث مقدس لكنت استبدلته باسم امين دون ان اجعله
 (فيدال) اوبيطرس دون قلبه (بييار) اوبجيب دون تحويله الى
 (آمه) كما يفعل شبان العصر الذين يستحون بطربوشهم وبلغتهم حتى
 وباسمائهم ايضا .

ايها الغادة انت التي تحولين شبان العصر اخوتي الى قردة يتقلدون
 ولا يفهمون .

انت تادين يوحنا باسم جان فلذله ما يخرج من فمك فيقلب
 اسمه انت التي تجدين القبة اجمل من الطربوش فيجاري ذوقك
 انت التي تكلمينه بالفرنسية والانكليزية بنصف اللسان الذي
 تعلمته فينسى بالكلمة التي تخرج من مسمك كل الكلمات التي
 ناغته بها امه وهو على السريز . لا تخفي يا غادة سوريا انا لا اكتب
 متحاملا فالذي اخطه هو نتيجة اختبار طويل وتأمل عميق وجدتك
 يا اختي بكل مقام وحالة رايتك غنية وتمعت فيك فقيرة حادثتك
 متعلمة واختبرتك جاهلة فعلمت من كل هذا البحث انك لست
 سورية مرتقية لاملة اندفاعك وراء التمدن الكاذب ولست اوربية بالغة
 مبلغ هذا الشعب من الارتقاء لانك خلقت لغير هذا التمدن ولغير
 هذا النوع من التهذيب .

كلمتك بالفرنسية فمكت اسماعي من ذكر هيكو ولامارتين
 واسكندر دوماس وحين سالتك ابسط الامور عنهم اتضح لدي ما

تعرفين وانجلي لباصرتي زيف التقليد !!

كلمتك بالعربية فخلطت نصف جوابك بالافرنجي حادثتك عن
لغة بلادنا ففتح عينيك بدهش وارتسمت على شفثيك ابتسامة احتقار
دون ان تفهمي شيئاً وكان جوابك :

- ماذا تقيدني اللغة العربية ! انا لم اجتهد بها وفي المدرسة
لا يعلموننا اكثر من ساعة مبادي القراءة العربية فقط .

ايها الغادة اذا كانت لغة بلادك لا تنفعك لانها تحمل في الوطن
نسمة الارتقاء واستقلال الامة بتمدينها الصحيح اذا كانت هذه اللغة
ادنى من ان يتنازل اليها عظمك السامي فكمربي بالجواب غير مأمورة :
اية فائدة ترجينها من وراء اللغات الاجنبية ؟

اتريدين الاستخدام انت ايضا في ادارات الاجانب ؟ اتريدين
معاونة القومسيون انت ايضا لاستنزاف هذا الموطن الاجرد ؟ الا
يكفي ان نصف رجالنا اصبحوا عبيداً تدفعهم الضرورة الى دفع الالفة
للعبودية حتى تصيحين انت يا غادة سوريا وانت رابطة الوطن اول من
يحل هذه الرابطة المقدسة .

لقد يخطر على بالك ان تجاوبي :

ان المجتمعات في الصالونات تستوجب ان يعرف الانسان لغة
الافرنج وهذا من ضرورات التمدن .

جميلة هي صالونا تكم يا اخوتي السوريين ومضحكة هي تقاليدكم

الجديدة .

انا لم ادخل صالونا منها حتى بين كبراء قومنا واغنيائهم دون ان
ينجلي لي فيها نص التقليد وفراغه من كل حسن وجميل . كل حركة فيها
تستوجب الضحك . كل عبارة تلفظ فيها تنافي مبدأ الادب الاوروي
على خط مستقيم انت يا غادة سوريا في هذه المجتمعات كخيال اسود
يتحرك على الحائط وحقيقته بعيدة جداً عنه .

لو دخل مجتمعاتنا التقليدية سيادة اجنبية رسخت فيها عوائد
بلادها منذ الصغر وتاملت بحركاتك يا اختي السورية بخطوات رجلبك
باهتزاز رأسك بلفظك وتركيب عبارتك لعادت ساخرة بك متأسفة
على الفة كان يمكنها ان تكون سورية معتبرة بعوائدها الاصلية فضضات
ان تصير افرنجية ناقصة مضحكة ساقطة .

دخلت يوماً الى احد صالوناتنا المتمدنة فرأيت فيه عدة من
السيدات والرجال من الاوانس والشبان وكلهم يتكلمون ولا احد
يسمع هذا يسرد حديثاً بالافرنسية وتلك تناظر رفيقتها بالانكليزية
فتجيبها هذه تارة بالعربية وتارة بالايطاليانية وكان الحديث فارغاً من
كل روح لان المتحادثين كانوا فاقدين المعرفة بلساس الفهم ولا يعرفون
من الفة الا فرنج غير تمثيل حركاتهم . وقف احد الشبان وكان
لابساً نظارة ذهبية على عينيه واخذ ياتي على الحضور قصيدة لثيكتور
هيفو فاصنى اليه الكل وخصوصاً السيدات ولم يكن يفهم من

قصيدة فيلسوف شعراء ألفرنسيس غير رنة الوزن فقط ومع هذا كن
يتألمن ليقال انهن فرنسيات وكهن لطف وشعور. وكان يزداد حماس
الشاب من هذه المظاهر الكاذبة فيرفع صوته متقلداً الافرنج بلفظ
لو سمعه هيكولندم على نظمه تلك القصيدة التاسعة ...

وبعد سكوت قصير قالت احدى الاوانس

- اين للشعر العربي هذه الرقة وهذا الجمال .

وكنيت على ثقة بان حضرتها لم تفهم شيئاً من شعور هيكولانها
لو كانت تشعر بشيئ لما ألقت الاحتقار بوجه وطنها وطعنت بلغة ابيها
وامها . خيل لي ان سهما يشق فوادي فنظرت الى الغادة وقلت لها .
- هل قرأت شيئاً من الشعر العربي ايتها الانسة .

- انا لم اعد اقرأ شيئاً من الشعر العربي بعد خروجي من المدرسة
ولكنني لم ازل اذكر القصائد التي تتعلمها البنات وهي !!!

وامثال هذه الاشياء الباردة فكيف تريد بعد ان اعمد الى

مطالمة الشعر العربي .

سكت لاني وجدت جوابها مقنعاً من بعض الوجوه وجدت ان
هذه الجريمة التي تترفها بنات الوطن نحو الوطن هي نتيجة التعليم الفاسد
الذي يريد الاجانب ان يستبدوا عليه لامانة اللغة العربية من كل
القصائد الذي تعلمت اوروبا منها الشعر واحنى هيكول رأسه امامها
قائلاً ان الجمال بالشعور هو جمال عربي . من كل هذه القصائد التي لا

توث لم يجد الاجاب غير النظم الساقط ليقدموه قاعدة تنفر منه قلوب
الناشئة من كل القطع الانشائية التي تدخل الى اقسام النفس فترتش
لها عظمة وشعوراً . لم يجد الاجاب غير القصص الخرافية المأخوذة
عن اسقط طبقات الانشا العربي حرق الارم وقتت للانسة .

- اذا كنت لا تقرأين الدواوين العربية فانت ولا شك تقرأين
كتابات هيكو .

- نعم انني اقرأه والذ به كثيراً

- اذا كان ما تقولين صحيحاً فاعجب جداً كيف انك لم تقرأني
راي هيكو نفسه في اداب لغتنا وشعرنا . اذا كان اهل الوطن
يساعدون بسكوتهم على قتل لغتهم وتحجيرها فكان يجب أن تتعلمي
من شاعر الفرنسييس محبة اداب اللغة التي تكلم بها اجدادك .

لم يكن لكلامي موقع حسن في اذن الانسة المتفرجة فهزت
كتفيها وقامت الى البيانو تضرب عليه قطعة بولكا من ابسط ما ابداع
الفرنساويون في صناعة الالحان وكانت تتمايل طرباً لدى وقع هذا
النغم الفارغ على اذنها

وبعد ان انتهت من الضرب ادارت وجهها نحوي وقالت .

- وهذا ما تقول به يا مسيو ؟

فاجبت - هذا موال افرنجي ..

- آه . انت بلا ذوق .

- نعم انا بلا ذوق يا سيدتي ولكنني افضل ان اسمع الشيخ
سلامه ينشد سلام على حسن يد الموت لم تكن لتمجوه او تمجوهوا
من القلب من ان اسمع هذه البولكة التي لا تعني شيئاً . انا افهم
الموسيقى الافرنجية اكثر مما فهمتها ايها الانسة لان مقاطع انغامها لم
ترل ترن في اذني من حين كنت مضجماً على سريري واعرف من الانتقام
الفرنساوية ما لم تحلمي به ولكنني درست الموسيقى العربية ايضاً فانا
اعرف منك بالاثنتين ولا اريد الان ان اتقي عليك درساً بالانتقام بل
اريد ان تعرفي ايها الانسة بان قضائك استقطب موسيقى عند الافرنج
على اجمل ما ينشد منشد وارق شعر نطق به شاعر عربي له ودليل على
انتصار التقليد المشيز في الفتنة الشقية وانهازام الروح الراقية من بين
ناشئتنا . .

خرجت من ذلك المجمع والدماء تقطر من قلبي على وطن تيممه
الفتة بالتشور اللوامع خرجت حزياً على غادات يدفعن رجال الغد
بذوقهن الضال الى احتقار لغة البلاد ومجدها الساذج وعوائدها الجميلة
مع ان الغادات هن في كل بلاد عنوان الوطنية يشجعن اداًبها
وينصرن شعرائها ويقوين المجاهدين في سبيلها . وهنا ارى فتاتاً
واقفة على منحدر الجبل العالي وبنائها يدل الشبية الى الهاوية بدل ان
يدلها الى الذروة الى قمة الوطنية واعتبار ارماس الجدود .

لولم تكن غادة الفرنسيين اشد ولوعاً من الرجل بارض بلادها

لما كنا نرى شبيبة تلك البلاد تفتح غمرات الموت في سبيل الوطنية
وعلى شفاهها ابتسامة الاحتقار للموت من وراء الحب الذي غرسته
العادة في القلب . الفة بلادي تحترق لغتي فلمن اكتب . كبراء قومي
لا يفهموني فلمن اجر هذه القصة التي كان صريرها يملأ الدنيا علماً
وشعوراً وتمدناً فاصبحت تئن على الورق ايناً فلا يتجاوز صوتها اذن
الكاتب

اكثر من مرة مسكت هذا القلم وحطمته . اكثر من مرة ذودته
دمعه في ساعات السآمة والكلال وعدت الى الريشة الحديدية التي
تطيع انا ملي اكثر من القلم . ولكنني لم اكن ابقى طويلاً تحت الياس
لاني كنت ارى على قمة لبنان وطني عادة يكسف وجهها نور الشمس
رجلها راسخت على الثلوج وهي اطهر منها وراسها ينطح السحاب
بكل قوة سوريا ومجد العرب تلك العادة ذلك الملاك كانت تمد
يدها نحوي وتقول :

ارجع الى القلم يا ابن سوريا اكتب بلفة وطنك وجاهد . تكلم
فانا عادة لبنان سامعة ما تقول . اذا كانت عذارى البلاد لا تفهم فانا
عذرا الوطنية لا احول لذني عنك . خذيدي فانا خطيبتك اذا كتبت
فمن اجلي تكتب وان تكلمت من اجل حيي تتكلم . انا صورة
مجد الشعوب ورمز حياة الامم انا مثال الوطنية !

كنت احني الرأس عند هذه النجوى كالقصة الضعيفة التي تلتوى

من هبوب العاصفة كنت اضع يدي على قلبي واسير بين انقياد
 المتشدقين الذين يتلهون بالحرف الذي يميت ولا يشعرون بالروح التي
 تحيي . كنت اتبسم حزناً على المدعين الذين لا يعتقدون بوجود قوة الا
 قوتهم ولا يسمعون صوتاً غير صوتهم . كنت احتمل هز الاجانب
 اقاربى بي وهم يقولون لي اترك هذه المتاعب وهذا الشعب الذي
 يفهم الفضل تظلاً اخرج من هذا الوسط الذي يعيش فيه الاديب
 غريباً ولا يحل به الا المتزلف المحاري . ادخل بين ثقافات على الاقل ان
 كتبت تكتب مثلنا وان تكلمت فلا ينقص كلامك صحة عن
 كلامنا تعال فما بيننا ينصر اهل الفكر ولا يلقي قلم الكاتب كما راعى على
 وجهه

انت في وسط تغلي فيه مرآجل المبادي المختلفة والفتك تتناهبها
 العناصر المتعاكسة فاذا نطقت بحقيقة هب بوجهك انصار المبادي الفاشية
 للمقاصد الذاتية . . انت يمكنك ان تكون راقياً في امة راقية
 فلماذا تفضل الجهاد ما بين شعب ستمر عليه الاجيال ولا يفتح عينيه
 للنور .

كنت اسمع هذه الاقوال فاكاد ان ارضخ لصحتها ولكن يد
 الملاك الواقف على اعالي جبل لبنان كان ينبعث نور عينيه الى جيبني
 ويلقي يده على قلبي فارفع الرأس واتقدم في هذا السبيل الضيق
 التورقائلاً :

هم اخوتي ذلك الشعب الضعيف الذي يضلله اهل الضلال ،
هذه الرؤوس النائمة على سكون الاجيال تتمخض فيها كل القوى
التي تجعل هذا الشعب المبددة عظمة وهو متسلسل من قادة الامم
وحاملي مشكاة العلم على منارة الدنيا .

لغتي مهد الفلسفة والادب وارض اجدادي مورد السعة والثروة
فسوف اجاهد مع هذا النذر اليسير من فضلاء وطني وتحت الراية
العثمانية المحبوبة سوف نجاهد لاجلاء بلادنا وترقية شعبنا واذا لم يقدر لنا
ان نكون فاتحة دور الرقي الذي نرجوه فنكون على الاقل ضحية
تجعل ختماً شريفاً على قبر شعب اماته التقليد ودفنته الاجيال في حفرة
التشبه والاسر وكما ابتلعت هذه الحفرة من امة ولاشت من شعب .
يا غادة سوريا ان الذين ربوك على مبادئ الحالية جعلوك
خائنة لوطنك دون ان تشعري وانت لا ترالين تحبين التفرنج الذي
لم يقف على قبعتك ولم يهب على ملابسك فقط بل هو متاصل باممالك
وقد تملك على ذوقك وها هو يلب بقلبك ليجعلك شقية ويدفع ورائك
رجال الغد الى حفرة العدم .

وقد يخال لك ان لاهمية لمواطنك في احوال الوطن وتقدمه
وتقهقره فاسمحي يا اختي ان اقول لك ولربما تتمججين من هذا القول :
انت اساس التقدم ومبدأ نجاح الامة ، ان الذي لا يفعله ساعد الشاب
القوي من تلقا نفسه توحين انت الى القيام به بابتسامة ونظرة . وان ما

قصيدة فيلسوف شعراء الفرنسيين غير رنة الوزن فقط ومع هذا كن
يتأيلن ليقال انهن فرنسيات وكلهن لطف وشعور. وكان يزداد حماس
الشاب من هذه المظاهر الكاذبة فيرفع صوته متقلداً الا فرنج بلفظ
لو سمعه هيكولندم على نظمه تلك القصيدة التاسعة . . .

وبعد سكوت قصير قالت احدى الاوانس

- اين للشعر العربي هذه الرقة وهذا الجمال .

وكنيت على ثقة بان حضرتها لم تفهم شيئاً من شعور هيكولانها
لو كانت تشعر بشيء لما ألقت الاحتقار بوجه وطنها وطعنت بلغة ابيها
وامها . خيل لي ان سهما يشق فوادي فنظرت الى الغادة وقلت لها .

- هل قرأت شيئاً من الشعر العربي ايتها الانسة .

- انا لم اعد اقرأ شيئاً من الشعر العربي بعد خروجي من المدرسة

ولكنني لم ازل اذكر القصائد التي تتعلمها البنات وهي !!!

وامثال هذه الاشياء الباردة فكيف تريد بعد ان اعمد الى

مطالعة الشعر العربي .

سكت لانني وجدت جوابها مقنعاً من بعض الوجوه وجدت ان
هذه الجريمة التي تترفضها بنات الوطن نحو الوطن لهي نتيجة التعليم الفاسد
الذي يريد الاجانب ان يستبدوا عليه لامانة اللغة العربية من كل
القصائد الذي تعلمت اوروبا منها الشعر واخني هيكولانها امامها
قائلاً ان الجمال بالشعور هو جمال عربي . . من كل هذه القصائد التي لا

تموت لم يجد الاجانب غير النظم الساقط ليقدموه قاعدة تفر منه قلوب
الناشئة من كل القطع الانشائية التي تدخل الى اقسام النفس فترتس
لها عظمة وشعوراً . لم يجد الاجانب غير القصص الخرافية المأخوذة
عن اسقط طبقات الانشا العربي حرق الارم وقلت للانسة .

- اذا كنت لا تقرأين الدواوين العربية فان ولا شك تقرأين
كتابات هيكو .

- نعم انني اقرأه والذ به كثيراً

- اذا كان ما تقولين صحيحاً فاعجب جداً كيف انك لم تقرأ
رأي هيكو نفسه في آداب لغتنا وشعرنا . اذا كان اهل الوطن
يساعدون بسكوتهم على قتل لغتهم وتحقيرها فكان يجب ان تتعلمي
من شاعر الفرنسييس محبة آداب اللغة التي تكلم بها اجدادك .
لم يكن لكلامي موقع حسن في اذن الانسة المتفرنجة فهزت
كتفيها وقامت الى اليناو تضرب عليه قطعة بولكا من ابسط ما ابداع
الفرنساويون في صناعة الاحمان وكانت تتمايل طرباً لدى وقع هذا
النغم الفارغ على اذنها

وبعد ان انتهت من الضرب ادارت وجهها نحوي وقالت .

- وهذا ما تقول به يا مسيو ؟

فاجبت - هذا موال افرنجي . .

- آه . انت بلا ذوق .

- نعم انا بلا ذوق يا سيدتي ولكنني افضل ان اسمع الشيخ
سلامه ينشد سلاماً على حسن يد الموت لم تكن لتمحوه او تمحوهواه
من القلب من ان اسمع هذه الهولكة التي لا تعني شيئاً . انا افهم
الموسيقى الافرنجية اكثر مما فهمتها ايها الانسة لان مقاطع انغامها لم
ترل ترن في اذني من حين كنت مضجعا على سريري واعرف من الاتقام
الفرنساوية ما لم تحلمي به ولكنني درست الموسيقى العربية ايضا فانا
اعرف منك بالاثنتين ولا اريد الان ان اتقي عليك درسا بالانعام بل
اريد ان تعرفي ايها الانسة بان قضائك اسقط موسيقى عند الافرنج
على اجل ما ينشد منشد وارق شعر نطق به شاعر عربي له ودليل على
انتصار التقليد المشيز في الفتنة الشقية وانهازام الروح الراقية من بين
ناشئتنا . .

خرجت من ذلك المجمع والدماء تقطر من قلبي على وطن تيممه
القتل بالقشور اللوامع خرجت حزينا على غادات يدفعن رجال الغد
بذوقهن الضال الى احتقار لغة البلاد ومجدها الساذج وعوائدها الجميلة
مع ان الغادات هن في كل بلاد عنوان الوطنية يشجعن ادايها
وينصرن شعرائها ويقوين المجاهدين في سبيلها . وهنا ارى قتاتنا
واقفة على منحدر الجبل العالي وبنائها يدل الشيبة الى الهاوية بدل ان
يدلها الى الذروة الى قمة الوطنية واعتبار ارماس الحدود .
لولا ان تكن غادة الفرنسيين اشد ولوعا من الرجل بارض بلاده

لما كنا نرى شبيبة تلك البلاد تفتح غمرات الموت في سبيل الوطنية
وعلى شفاهها ابتسامة الاحتقار للموت من وراء الحب الذي غرسته
العادة في القلب . الفة بلادي تحتقر لغتي فلمن اكتب . كبراء قومي
لا يفهموني فلمن اجر هذه القصة التي كان صريرها يملأ الدنيا علماً
وشعوراً وتمدناً فاصبحت تنث على الورق ايناً فلا يتجاوز صوتها اذن
الكاتب

اكثر من مرة مسكت هذا القلم وحطمت . اكثر من مرة ذودته
دمعه في ساعات السآمة والكالال وعدت الى الريشة الحديدية التي
تطبع انا ملي اكثر من القلم . ولكنني لم اكن ابقى طويلاً تحت الياس
لاني كنت ارى على قبة لبنان وطني عادة يكسف وجهها نور الشمس
رجلها راسخت على الثلوج وهي اطهر منها وراسها ينطح السحاب
بكل قوة سوريا ومجد العرب تلك العادة ذلك الملاك كانت تمد
يدها نحوي وتقول :

ارجع الى القلم يا ابن سوريا اكتب بلفة وطنك وجاهد . تكلم
فانا عادة لبنان سامعة ما تقول . اذا كانت عذارى البلاد لا تقهم فانا
عذرا الوطنية لا احول لذني عنك . خذيدي فانا خطيبك اذا كتبت
فمن اجلي تكتب . وان تكلمت من اجل حيي تتكلم . انا صورة
مجد الشعوب ورمز حياة الامم انا مثال الوطنية !

كنت احني الرأس عند هذه النجوى كالقصة الضعيفة التي تتلوى

من هبوب العاصفة كنت اضع يدي على قلبي واسير بين انتقاد
المتشدقين الذين يتلهون بالحرف الذي يميت ولا يشعرون بالروح التي
تحيي . كنت اتبسم حزناً على المدعين الذين لا يعتقدون بوجود قوة الا
قوتهم ولا يسمعون صوتاً غير صوتهم . كنت احتمل هز الاجاب
اقاري بي وهم يقولون لي اترك هذه المتاعب وهذا الشعب الذي
يفهم الفضل تطفلاً اخرج من هذا الوسط الذي يعيش فيه الاديب
غريباً ولا يحل به الا المترلف المحاري . ادخل بيئتنا فانت على الاقل ان
كتبت تكتب مثلنا وان تكلمت فلا ينقص كلامك صحة عن
كلامنا تعال فما بيننا ينصر اهل الفكر ولا يلقي قلم الكاتب كما راى على
وجهه

انت في وسط تغلي فيه مراحل المبادي المختلفة والفتك تتناهبها
العناصر المتعاضدة فاذا نطقت بحقيقة هب بوجهك انصار المبادي الفاشية
للمقاصد الذاتية . . انت يمكنك ان تكون راقياً في امة راقية
فلماذا تفضل الجهاد ما بين شعب ستمر عليه الاجيال ولا يفتح عينه
للتور .

كنت اسمع هذه الاقوال فاكاد ان ارضخ لصحتها ولكن يد
الملاك الواقف على اعالي جبل لبنان كان ينبعث نور عينيه الى جبيني
ويلقي يده على قلبي فارفع الرأس واتقدم في هذا السبيل الضيق
الوعراً قائلاً :

هم اخوتي ذلك الشعب الضعيف الذي يضلله اهل الضلال ،
هذه الرووس النائة على سكون الاجيال تنخض فيها كل القوى
التي تجعل هذا الشعب المبدد امة عظيمة وهو متسلسل من قادة الامم
وحاملي مشكاة العلم على منارة الدنيا .

لنعتي مهد الفلسفة والادب وارض اجدادي مورد السعة والثروة
فسوف اجاهد مع هذا النذر اليسير من فضلاء وطني وتحت الراية
العثمانية المحبوبة سوف نجاهد لاجلاء بلادنا وترقية شعبنا واذا لم يقدر لنا
ان نكون فاتحة دور الرقي الذي نرجوه فنكون على الاقل ضحية
تجعل ختماً شريفاً على قبر شعب امامته التقليد ودفنته الاجيال في حفرة
التشبه والاسر وكما ابتليت هذه الحفرة من امة ولاشت من شعب .
يا غادة سوريا ان الذين ربوك على مبادئ الحالية جعلوك
خائبة لوطنك دون ان تشعري وانت لا تزالين تجبين التفرنج الذي
لم يقف على قبعتك ولم يهب على ملابسك فقط بل هو متاصل باميا لك
وقد تملك على ذوقك وها هو يلعب بقلبك ليجعلك شقية ويدفع ورائك
رجال الغد الى حفرة العدم .

وقد يخال لك ان لاهمية لمواطنك في احوال الوطن وتقدمه
وتقهقره فاسمحي يا اختي ان اقول لك ولربما تتمججين من هذا القول :
انت اساس التقدم ومبدأ نجاح الامة ، ان الذي لا يفعله ساعد الشاب
القوي من تلقا نفسه توحي ان انت الى القيام به بابتسامة ونظرة . وان ما

يتوه عنه عقل الشاب مع كل افتكاره تنزليه انت عليه بكلمة ولفظة .
 انظري يا غادة سوريا الى ما حولك وتأمل ، هذه شبيبة بلادك
 هم اخوتك وطلاب يدك كلهم صفر الوجوه من اليأس بالجهاد احنت
 الضيقة ظهورهم قبل ان يلامسها الهرم واختفى من عينيهم لعمان
 الامل قبل ان تضرم نار الحب لقاتهم .

انظري هذا اخوك ياسره دفتر المضارب وذاك يركض لارادة
 المحتكر ذاك تديره يد الاجنبي ولا يسمح له ان يفكر بما يعمل
 بل يجب عليه ان يقوم بالواجب كالآلة الصماء وهذا كاليهودي التائه
 يقف مقتسًا على حجر يلقي عليها رأسه فتناديه قوة المادة المشوشة :
 امشي امشي ، فيقوم متوكأً على ارادته المنحلة ويتابع سيره ناظرًا الى
 الارض لان الزمان لا يسمح له ان يرفع ابصاره الى السماء .

انظري يا غادة سوريا ، انت التي ورث رقة القلب وعوامل
 الانعطاف تراثًا مقدسًا من امك انظري الى شاطي بحر الروم كم سالت
 عليه من دمعة وكم تقطر على شاطئيه من قلب . تأملي في ضعف بلادك
 وابكي على الارض التي حملت سريرك وضمت رفات اجدادك واعلمي
 بانك قادرة على تحويل ارض الوطن الجرداء الى جنة زاهرة ، انت
 قادرة ان تسدي باب المهاجرة المفتوح كالهواية التي لا قرار لها ، انت
 قادرة ان تحولي اصفرار اليأس للامع على جبين الشبيبة الى حمرة
 القوة والامل .

الدواء سهل يا غادة سوريا اذا تحرك قلبك وعاشت عواطفك .
 اخلي اثوابك التي حاكها يد الاجانب كقيود تاسر قلبك
 والبسي ما حاكته يد ابن الوطن فلا يلبث حتى يقتدي الرجل بك
 فتعيش صناعة النسيج وعلى حياتها يتوقف نصف حياة الامة .
 احترمي الزخرفة الاوروبية والرياش الذي لا فائدة منه وهو يستغرق
 نصف ثروة البلاد .

شباننا يركضون وراء هذه السفاسف لانهم من ذوقك فهم يريدون
 مرضاتك ولكن حين يرون على شفاهك ابتسامة الاحتقار لهذه
 اللوامع المفضية للبلاد حينئذٍ يحولون ابصارهم معك الى احياء وطنهم
 ومصانعهم ومزارعهم المهمة .

تعوذي ان تحبي لغة اجدادنا فلا يطول الامر حتى يألفها ذوقك
 وحينئذٍ ينجلي لك الجمال الكامن في ادابها والقوة المرقية التي تجول
 بشعرها . وحين تصلين الى هذه الدرجة تصبحين سورية مرتقية
 وترول عنك وصمة الاقتداء بالشعوب التي لا يمكن لك الوصول الى
 كمالها . كوني سورية عظيمة ولا تكوني افرنجية منحطة فيعتبرك
 الاجانب انفسهم ويحفظ لك التاريخ ذكرا جميلاً .

ضحكي اميالك الضالة وقوي ارادتك في هذا السيل الشريف
 يا اختي فانك باططة واحدة تحيين امة كبيرة تولاهم القنوط والعجز
 كوني وطنية حقيقية فتحيين الامل الميت في قلب الشبيبة التاعسة

مدي يدك ايها الملاك الى هذه القيود الثقيلة التي نجرها في عبودية حياتنا واكسري حلقاتها الضيقة فإدك اللطيفة هي وحدها قادرة على ذلك .

حرري هذه الشبيبة الشقية من اسرها لترفع رأسها الى العلا وتقتش على ملجاء قلبها بين يديك ولا تعود تائهة بقوة فقرها الذي ولده تطلبك بين ظلمات الفسق القاتل والضعف المميت .

اطلب منك هذا باسم اخوتي المعذبين واستعير صوت الوطنية الواقعة ناحية على جبالنا لا كلم فيك دماء سوريا العظيمة التي تجول في قلبك الرقيق .

ايتها الملاك ان حياة الغد بين يديك . انت الجحيم وانت النعيم وتحت ارادتك حياة الوطن وموته قدرتك عظيمة ايتها الغادة اللطيفة فلا تستعملها للشرك شيطان بل حولها لخير اخيك وخطيبك كوني ملاكاً كما نعتقد بك فتعدين لنفسك جنة الحياة الدنياء قبل جنان الخلود



فتاة لبننا



خير الروايات ما تُسبر فيها جراح
 الامة وارقاها ما ترك في نفس
 المطالع ميلاً الى
 الاصلاح .



[فناء بنان]

مر الهزيع الثاني من الليل والصبية لم تتم بعد .
 نام ابوها منهوك القوى من العمل في الحقول طول النهار وورقدت
 امها قرب اختها الصغيرة وساد السكوت على تلك العيلة الهادئة التي
 تحيا بالعمل ولا يدخل بابها رغيف خبز ما لم يقطر من جباه افرادها ما
 يعادله عرقاً .

بين ذلك السكوت العميق في قلب الظلام المجلل الحرش
 والرامي اطرافه على القرية الحفيرة كان البيت الصغير مختلطاً مع
 اشباح الليل منفرداً تناحيه ارواح الطبيعة التي تتساوى عندها الاكواخ
 والقصور .

كان السراج يبعث نوراً ضئيلاً على الالوجه الاربعة : ثلاثة منها
 لا يرتسم على جباهها غير تموجات الخيال الذي ترسله الاحلام حينما
 يقوم الوهم مقام الافكار كالسما حياة المرأى شطرين شطر الراحة وشرط
 العذاب . والوجه الرابع ذلك الوجه المستدير المشرق بعينين زرقاوين
 كالسما الصافية تحطاته دائرة من الشعر الاشقر كأنه هالة شفافة على
 اطراف القمر . ذلك الوجه كان مستنداً على كفٍ عبث بها المياه المحرقة
 في معمل الحرير ولكن زندها العاري الناصع البياض لم يزل ناعماً

صافي اللون كأنه مسبوك من شعاع الشمس او مكوّن من ذرات
الاثير الوردى عند الشروق .

لو أتيح لشاعر ان ينظر من الكوة المفتوحة الى داخل البيت
لتوهم ان القمر المتعب من ذرع السماء قد ولج هذا المسكن الحقير
ليرتاح من مصافحة السحب ومناجاة العاشقين . ولكن القمر كان
لم يزل بعد وراء الجبل العالي يتقدم ببطء ليتسّم ذروته وبقف مرسلًا
شعاعه الى الكوة المفتوحة حيث القمر الانساني ينتظر شروق اخيه ،
وردّت الصبىة انظارها الى النافذة فتلاشى ما كان يحمله ذلك
النظر المتقد بين ذرات النور الضعيف المنبعث من السراج الساهر
مع عيني الغادة الساهدة .

مر المزيج الثالث من الليل فاطل القمر من على الراية فترجّج
الظلام الساكن في مطارح شعاعه وما لبث حتى انجلت دقائق
الوشاح الليلي عن جثمان الطبيعة الابدي فتحرّكت الطيور في اعشاشها
وقد خدعها شبيه النهار وصنّرت دوائر النجوم السابجة في الفضاء كأنها
تراجعت اجلالا لملك السكون .

كل الاشياء التي لاتنام في الطبيعة ، الغدير المتسرب بين الاعشاب
والاعشاب نفسها ، الاشجار الباسقة واوراقها المتحركة بحركة الحياة
الدائمة ، الصخور النامية من دقائق الاثير تحت جناح الليل كما بالنهار ،
كل الطبيعة التي لاتنام لان ارادتها مقيّدة بغير هذا العالم وحركتها

مربوطة ما وراء المنظور في الازل، كل منظور انتباهه كرقاده هزته
حركة خفية لدي ملامسة نور القمر له فكأن ذلك النور يد الام
الساهرة تمر بنخفة وحنان على وجه الطفل الراقد .

كل موجود شعر بانثاق نور الشمس الغائبة وراء مدار الارض
والمرسلة صورتها على مرآة القمر الصافي، ذلك الجرم المنطفي ذلك المظلم
المنير . ولكن الحيوان بفرعيه الناطق والاعجم فقد بات كما هو ولم
يتحرك . لم يشعر بنور القمر لانه قسم من الطبيعة خرج منها وانفصل
عنها فهو نائم ارضوخ ارادته للضرورة .

اما الجواد فانه لا ينام ، نظامه متعلق بقوة خارجة عنه تديره
كقالب صبية الكوخ الساهدة التي اصبحت حياتها في حياة كائن ينفصل
عنها واضحت ارادتها مندغمة في ارادته فهي ككل جماد الطبيعة
لا تنام هي كالزهرة التي تحيي الليل باسره تمتص جراثيمها خلاصة
الارض لتهدى عبيرها نسيم الصباح وذلك النسيم يذبلها ويطحرها
ميتة على التراب الذي تغذت منه .

مع الغدير الجاري على الحصباء ومع النبات والجواد شعرت
الصبية بامتداد نور القمر على الارض واول اشعة اخترقت النافذة الحظيرة
كانت ميعاد خروجها لتحت القبة الزرقاء . جلست على فراشها بتحذر
ونظرت الى ما حولها واذا تاكدت استغراق الكل بالوسن قامت
وفتحت الباب مندغمة الى الخارج ودمها يكاد ان يتفجر من صمات

فؤادها النابض بشدة كانه يريد الخروج من صدرها .
تقابل القمران وجهاً لوجه فارتعشت الاشجار كأنها تحني امام
الجمالين جمال الفتاة المستعير الاشرار من الجرم السماوي التائه في
الفضاء وجمال ذلك الكوكب الذي انعكست عليه آيات المحاسن
الحية وهي معلنة مجد الدائم على الزائل .

وهناك تحت الصفصافة القديمة المدلية اغصانها على ماء الندير
كأنها تحنو عليه وهو يتململ متألماً على الحسباء ، هناك على مرج نضر
رصعته الازاهر كالنجوم على الاطلس المستدير ، هناك كان فتى . . .
هو في عنفوان الشباب جميل الطلعة طويل القامة ملتف بدثار رمادي
طويل مشقوق من وسطه حيث يغطي الكتفين وينفرج عن عنق
جمع القوة والجمال . وكان الشاب واقفاً وانظاره مصوبة نحو باب
الكوخ كأنها كرة النار موجهة لافتح قلعة حصينة .

فتح الباب وظهرت الفتاة فاسند الشاب قلبه بيده الشمال وبيده
اليمنى التي بالدثار على المرج فظهر لعين العادة بكل جمال الفتوة تحت
نور القمر المتساق وقد ارتفع عن الجبل كانه يتماص من رؤوس
الاشجار ليشاهد مأساة هائلة جديدة تمثلها الالهواء على ملعب الارض
الابدي .

— جميل !!

— سلمى !!

- نعم أنا .. اتيت لاني لا اريد الاخلاف بوعدى لك . رغماً عن
تعب النهار الذي انهدك قواي لم يغمض لي جفن وقد حملني الشوق
اليك .. أحب لقاءك يا جميل لانني لا اشعر بالحياة الا بقربك ولكن
شيئاً خفياً لا اعلم ما هو يكاد ان يقعدني عن ملاقاتك كلما ضربت
لي ميماً . كلما فتحت الباب تحت جناح الليل وانت تنتظري هنا
اتبين من بعيد على نور النجوم القاتم قبة الكنيسة المرقعة فوق كل
القرية كأنها تسود على ما ارى كما يملو الكاهن المذبح وهو اعلى
من الشعب يقرأ في ذلك الكتاب الذي يوحي بالابتعاد عن كل
قبيح ..

- سلمى ! .. دعي الاوهام بحق حبنا وهو اقوى من الموت
واحر من النار دعي الكنائس المرقعة الى غنان الجوفاء مبنية من
تعب الفقير لتسخر به . دعي الكاهن فهو ضعيف العزم يفضل المتاجرة
بالاوهام من ان يشتغل بكافي الناس ويمش منعتاً من ربة الضلال
الذي يأسر نفسه به ويأسر الناس .

وكان فم جميل لم يزل مفتوحاً يريد ان يندفع بكلامه الى حد
بعيد فمدت سلمى يدها الى فمه والقت اصابعها المحروقة على شفتيه
الورديتين وقالت :

- اسكت يا جميل والا اغلقت اذني عن سماع كلامك . لماذا
تهدف على بيت الله وهو ملجأ النفوس المعذبة ؟ اذا تركتني انت

فالى ابن التجي !

- انا لا اتركك يا سلمى ولكن اعتقادك بان الكنيسة هي ملجأ
الحزاني لهو اعتقاد فاسد ولو نظرت كما نظرت انا في اميركا والبلاد
المتمدنة كيف ان الكنائس والكهنة ترفع على قلوب التمساء لغيرت
ظنك وضحكت من نفسك .

- انا لم اذهب لاميركا يا جميل ولا اعلم ما يعبد الناس هناك
اذ انني خلقت في قريتي على سفح لبنان وطني حيث الكنيسة مسقوفة
يمجدوع الاشجار كبيوتنا والكاهن فقير مثلنا يشتغل بحقله مع اولاده
ليعيش . انا لست متعلمة في الكلمات ولا اعرف ان اقرأ بغير كتاب
الصلوة الذي اهدتي اياه السيدة اولغا في الصيف الماضي حينما اتت
من بيروت لتصطاف في مزرعتنا ومع ذلك مع كل جهلي يا جميل اراك
مخطئاً باعتقادك مع انك درست في بيروت وسافرت الى اميركا
والناس يقولون عنك انك فيلسوف .

- سلمى ! انا اتيت تحت جناح الظلام من طرف القرية لهنا
كي اراك واسمع كلمة الحب من فمك الجميل ايتي لالقي رأسي
المتعب على صدرك البلوري وهانذا اري بدل هيامك معارضات وهمية
واجد نفسي مضطراً للتفلسف معك . ارى الكنيسة والكاهن واقفين
حاجزاً بيني وبين صدرك المشتعل بالوجد فاريد ان اريك وهن هذين
الحاجزين . انت لم تعرفي شيئاً من العالم يا سلمى انت لا تقدرين

على التمييز لتعريف بان الكنيسة ليست الا شركاً يصطاد به القوي
الضعيف فاعلمي بان الانسان لا يحتاج لمعبد وكاهن ليعيش انت لا
تجهلين بانني عاقل ودارس فاسمعي مني وانا لا اريد ان تكوني على
ضلال : ان الشريعة هي مثل الترتيب في المعمل الذي تشتغلين به
تتغير حسب ارادة الناس وضرورة الايام فالاديان كلها اكاذيب
واضاليل ولا شريعة غير القوة ولا اله الا اله واحد وهو الحب . انا
اخذ حتمي من الدنيا قدر قوة يدي ودماعتي وانت تالخذين حاك قدر
جمالك ولطفك فاتركي الاوهام والكاهن والكنيسة الى جانب وتعالى
بعبد قلوبنا انطرحي على عيني لانها قوية ولا تخافي .

- اخاف ان تتركني يا جميل فامن التجبي بعدك ؟ انا احبك
بكل سذاجة قلبي وقوة شيبتي ولكن باسم من تحالف وامام من
تربط عهدك وانت لا تعتقد بدين ولا بشريعة ! . . .

- احاف بشرفي وهذا القمر السائد في الفلك كما تسودين في
قلبي وهو شاهد علي فسوف احاك من قيود المعيشة الفقيرة سوف
انزع اليد المتسلطة عليك في معمل الحريحيث انت عبدة ذليلة
واقودك معي الى العالم الجديد نترين هنالك نور الحياة ونذوقين لذة
العيش .

وباتت سلمى جامدة مسحورة بحمال حبيبها كأن قوة غريبة
تضغط على قلبها الضعيف وكالمصنور الصغير المخرب امام الافعى

الهائلة شعرت الصيبة بانجذاب عواطفها الى الهاوية المفتوحة امامها .
 وبقي جميل يتكلم طويلاً عن فساد المبادي الفاشية بين الشعب
 الساذج فكانت كلماته تسقط كتنقط السم على قلبها . وكان الفتى الضال
 يد مباديه السافلة الى قلب الفتاة الطاهر طارداً منه كل المحاسن
 التي اوجدها الايمان به .

هي ترى الله والشريعة مجسمين بالكاهن والكنيسة ولا تنهم
 من سر الفدا غير تمثيله على المذبح وكان جميل يعرف بان الله ليس
 الكاهن وليست الشريعة الهيكل ولكنه عرف بان ذلك القاب
 الساذج يحرص كل اعتقاده بالمنظور وانه حين يخلو من ذلك الاعتقاد
 يخرج العفاف منه ويضمحل في شكوكه كل طهارة وحذر فاخذ
 يبين لسامى ضلال بعض الكهنة في حياتهم المملوءة خبثاً يوشيه المجد
 وتحتاطها السعة والبذخ . قائلاً بان سلطة كهذه لا يمكن لها ان تمثل
 شريعة مجردة منبعثة عن نور السماء .

تحت تلك الصفاضة الضائعة على سفح لبنان فوق الوادي
 العميق قرب المدير الصافي السائل بهدو بين الاعشاب دوى صوت
 فولتير مرة ثانية على الارض .

وكانت سامى قد جلست على دثار جميل المفروش على الارض
 وجميل جاث امامها ويده المترقة بجرارة الشرملقة على كتفها
 المرتجفة . فقالت

- جميل .. اسمع لكلامي فانتني ساذجة لا اعرف كيف اتكلم
ولكن لا يجب ان يتعلم القلب ليشعر . كنت احب لو كنت مثل ابي
قانعا بارض ابيك واجدادك . ابوك قد قضى وامك ماتت وانت
وحيد في هذه المزرعة الحظيرة لانسيب لك ولا قريب تعيش منفردا
عن القوم كانك لست منهم وتكبر على لابسي العباة كان اباك لم
يرند مثلها ليقوم بمصاريف تعليمك في المدرسة . انت كالطير الغريب
في مزرعة لبنان يا حيبي تركت عشك الجميل لتتلي دماغك بافكار
لاافهمها وما عدت الينا الا بزي جديد ملفوف باثواب غريبة لتركب
غارب البحر وتبقى هنالك السنين الطوال وها انت ما بيتنا كانك
لست منا فلا يمكن لنا ان نفهمك كما لا يمكن لك ان تفهمنا ولولم
يكن رباط الحب اقوى من المدى واعلى من طبقة العوائد لما كنت
تراني الان بين يديك . احبك يا جميل واذعر منك اشتاق الى
مراك واحذر لقياك فانت امامي جميل مشرق كالقمر ومظلم
خفيف كاطراف الوادي البعيد .

- ويلاه يا سلمى كفي ملامك فان غصن الورد لا ينتقل من
رتبه ويرمى لرحمة العواصف الالقة غالبه وارادة جائرة بلادي
صخرة جرداء وافقها ضيق على النظر الطامح الى بعيد . تعلمت ان
ارتفع بافكاري الى الامور السامية فاحتقرت المحراث وثقلت على
كاهلي ملابس اجدادي فاندفعت كما يندفع اخواني ابنا لبنان الى

الأوقيانس البعيد وهنالك ذقت ما لا يحلم به سكان صخورنا ولهذا اريد ان اعيش كما يحب العيش لي وسوف اعود الى بلاد الذهب والسرور .

- ويلاه يا جميل يرتجف قلبي من كلامك وهذه الارباب الهادئة تضرب منك فكانك نسر خارج من بيضة حمام ينتفض بجرأة وشدة مخالفا كل شريعة ونظام . انت ولدت مثلي في هذه المزرعة الساكنة الهادئة واكنك لم تعد صالحا لسكانها كما لم يعد بها شئ يحبها اليك ويكفني ان انظر الى اثوابك التي لا يصنع في بلادنا منها قطعة واحدة لاناكد بانك صرت غريبا وبك كل الاميال التي تجعلك معرضا لحياة الاستعباد في بلاد الاجانب . اسمع لصوت حيي دع عنك هذه المطاعم وخذلك ارضا تشغلها بما لديك من المال فتاتيك بالارباح اشتر ارض ابيك التي باعها ليعلمك وهذه يدي بيدك لنحيا بسكون وغوت بسلام في مزرعتنا الصغيرة فني بساطتها نلقى السعادة والراحة .

وكان صوتها هاديا ترن به كل نفات الحب الصادق والاسترحام فكان لبنان الساذج السعيد تجسم بذات تلك الفتاة الطاهرة القانعة لينزع من قلب جميل مطاعم المهاجرة وضلال الحياة الجديدة .

والتي جميل رأسه على كتف الفتاة فتمثلت لديه صورة الحياة الهادئة في مزرعته قرب سلمى وهي تحبه بكل قواها رأى نفسه

ساكنًا في بيت ابيه القديم وارزاقه تدرُّ عليه اللبن والعسل وتُحِل
انه بنى معملًا صغيراً يشتغل به مع عدد من اهل المزرعة بصناعة
النسيج التي تعلمها في المهجر فاهتز بنفسه وجدان اللبناني القديم فوضع
فه على شفتي سلمى الورديتين . فكان بهذه القبة التي رُنت على كتف
الغدير فتلاشى صداها مع خريره كانت رابطة عهد جديد بين قوة
لبنان وجماله ..

ولكن تلك النفس اللبنانية المجبولة على العفاف لم تكن لتقوى
طويلاً بطبعها على ما تطبعت عليه . وذلك الاعتقاد اللبناني القديم
الذي رسخ مع الادهار لم يكن ليقوى على الشكوك المتسلطة عليه
من فساد بعض التقاليد السطحية .

تلك الليالي التي قضاها جميل بين غابات نيويورك وعواهر
مرسيليا تمثلت لوجدانه المشكك كشبح اللذة الكاملة ومودع السعادة
الحقيقية وذلك السم الذي دار بدمه مع ملاصقة الفواحش والنزول
الى قعر الدنس ذلك السم كان لم يزل جارياً يحارب دماء اللبناني
القوية .

وكانت سلمى قد سكرت من مظاهر الجمال الطاهر الذي لاح
لعينها على وجه جميل حين افكاره بسعادة الحب وسكنى الوطن
فارتخت عزائمها ورقدت روحها بين طيات الامل .
كل شي في هذا الكون مقسوم الى قسمين قسم يأمر وقسم

يرضخ . ذرات الدقائق . الجوهر الفرد لا يمكن أن يكون إلا مزدوجاً ولا يمكن تصوره منفرداً ما لم يصبح عدماً وفي ذات ذلك الجوهر المزدوج يوجد متعدٍ ولازم يوجد سابقٌ وللاحق أولٌ وتأنٍ تابعٌ ومتبوعٌ . فلا يمكن اندغام متشابهين ما لم يكن متسلطٌ وراضخ . لا يوجد اشتراك تام إلا بالظواهر في الطبيعة المنظورة .

روح سلمى الثملة بعواطف الحب الاكيد وحياته الامل وروح جميل المحترقة بجمل الملاذ ونارها ذكر الضلال الماضي وامل اللذة العتيدة . حياةٌ طاهرة وحياةٌ مفسودة تندغان بقوة مجهولة تضم كل شئ حتى كأنها تمزج الخير بالشر مزجاً .

سرٌّ هائلٌ في هذا الكون يحمل القوة سائدة وهي مفصلة عن الخير فكأنما قد قدر على الصلاح ان يلزم الضعف ويرضخ ابدًا لا جور فيفتخر بالانكسار وتكون حياته بالضحية .

توسط القمر كبد السماء واصبحت اشعته الساقطة عمودياً على الارض تنصير الاشباح وتضم كل خيال لجرمه فانيرت المروج العارية حول الصفصافة واصبح خيالها مستديراً يغطي جذعها والدائرة المنبسطة حولها فكأن القمر رأى ما سيكون هنالك فضن على المجرم بنوره وخشي ان تلتطخ اشعته الفضية بدماء الطهارة المهذورة .

هنالك لم يكن حبيباً . هنالك لم يكن غير خادعٍ ومخدوع

قاتل وقتيل .

..

ساد السكوت وتوالت الساعات وكان القمر قد جنح الى جانب الافق محمراً كأنه مشرب من انجرة الجريمة المستورة ودامت الارض سائرة في هذا الكون الفسيح لتتم دورتها اليومية .

تكحل الشرق بغبارٍ ذهبي وهب نسيم الصبح عيلاً ليحيي الروض الشاخص الى السماء يجمود المقتكر فاتخذت مياه الغدير لوناً ذهبياً يتوهج على الحصباء بين المرج وقد ظهرت عليه زهرة حمراء جديدة بين ازهار الطبيعة البيضاء الطاهرة ...

كان الوسن لم يزل سائداً على اجفان الانسان . وهنالك في الكوخ الحميم اختلطت ذرات النهار بنور السراج الضئيل وقد شح زيته وقارب الانطفاء . وعلى الصفاقة القديمة التي زرعا ابو سلمى على تلك الاغصان الخضراء الناضرة ، بين السكوت المجلل الطبيعة بنحشوعها ، كان عصفورٌ صغير قد فتح عينيه للنور وبدأ يغرد !!!



أشرق الشمس على ثغر بيروت المفترّ بكل جماله امام بحر
الروم الصافي فكانت السماء تبسم للارض والارض تهدي السماء
أنجرة الصباح الزرقاء المتصاعدة الى الملاكا. نهاعرف البخور. وهناك
عند اقدام لبنان حيث ترتفع الصخور على صفحة الماء الممتد الى
اطراف الاقح كان الترامواي اللبناني سائرًا مخلفًا وراءه المعاملتين
وجوئيه ووجهته بيروت.

من ركاب الطبقة الثانية كان الشاب عاشق سلمي مسنداً يده
الى نافذة القطار وانظاره تسبح على وجه الماء وتسير نحو الافق كأنها
تريد الوصول الى ما وراء الحجاب. وكان يفكر :

لقد مضت سنة منذ وطئت رجلاي ارض اجدادي فاخال
هذا العام قرناً طويلاً. ما اثقل رجل الزمان السائرة على قلب فارق
وسطه ولم يعد يشعر بالحياة الا على ما تعود. هنالك في الولايات
المتحدة لا يحتاج الانسان لاجهاد الفكر ليعيش هنالك كل شيء مرتب
التجارة والصناعة حتى الكذب والاحتيال والسرقة لها ابواب معلومة
ونظام متبع وهنا اذا اراد المرء الاتيان بعمل فعليه ان يحارب العناصر
والاحياء مما عليه ان ينكر ذاته لقاء الصالح العام فينجح من حوله
ويبقى هو تميماً في كل بلاد الله ينجح الفرد ليعم التقدم كل الامة اما
هنا فيجب ان يسقط افراد كثيرون ليدخل الرقي عن الطريق العامة

ويعود مقسماً على الافراد . كان معي حين حضوري سبع مئة ليرة
ضخمت كيستي بعد جهاد اربع سنوات وها انذا ارى بأسف ان داء الهزال
يسطو على هذا الكيس فهو كالمریض الذي تجهده الحمى ولا يتغذى
فقد اصیب بفقر الدم . وكل مدة یجب ان احضر لبيروت لانها تمثل
لي خيال البلاد المتمدنة فلا اخرج منها الا منهوك القوى فارغ الجيب .
بيروت استغرقت نصف مالي ولكن بيروت ستعوض علي .
بنات الهوى يفرغن الكيس ولكن اولفا ستمیئة . ابوها تاجر
معتبر وواسع الثروة فلا تقل الدوطة عن الست مئة ليرة وحينئذ
وداعاً يا لبنان !!

اولفا ليست جميلة ولكنها متمدنة هي تلبس كورسه ايديال
وقبعة افرنسية ووشاح انكليزي واساور اميركانية و . . و . .
وبحصر الكلمة هي خلاصة تمدن العالم كله . . . تتكلم
الانكليزية والافرنسية وتخططها بشي من العربي . . مسكينة سلمى
ما كان احقرها في عيني في الصيف الغابر حينما كانت تذهب للتنزه
مع الغاية المتمدنة . سلمى تلبس قميصاً من دير القمر وفسطاطها من
من ديماء بيت شباب مفصل على طرز باريزي محض فهي تخاف ان
تشد على صدرها وفي رجلها حذاء من جلد زجله ضخمة بلون اغبر
لانها تصبغه كل سنة مرة . .

ولاحت على شفتي جميل ابتسامة صفراوية مركبة من كل

العواطف المتزاحمة المتلاطمة في قلبه •
 حين افكاره بسلمى ، تذكر الليلة التي اوشكت ان تمحي من
 مخيلته وقد طبعت بكل تناسيلها على قلب الفتاة المخدوعة وعلى سفح
 لبنان واشجاره وغديره لان لبنان كان محتملاً إهانة جديدة من
 ابنائه بشخص فتاته الطاهرة الساذجة •

* * *

جنحت الشمس عن الهاجرة وهوت على منحدر المدار الذي
 ينتهي على افق البحر • في احديوت بيروت الكبيرة باحدى
 قاعاته الواسعة العالية كانت عانسٌ تبلغ الخامسة والثلاثين من سنيتها
 عريضة الاكتاف ثقيلة الردف مقطوعة من وسطها بزناز مذهب
 مربوط برشاء لانه لا يحتاج للشد والكورسه من وراء الفسطان واصل
 الى اخر ما يمكن للشريط ان يشد • وكانت جالسة على مقعدٍ مخملي
 احمر وفسطانها الكحلي الفاتح متدل برشاء وترتب على الارض ويدها
 جريدة لم ترل مربوطة بغلافها • وبعد ان قلبت العانس جريدتها
 مراراً بين يديها ضربت على جرس كان بجانبها فدخلت الخادمة

- خذي هذه الورقة يا مريم فلربما تلزم للمطبخ .

وتناولت الخادمة الجريدة وبعد ان نظرت اليها بامعان قالت .

- هذا جرنال معلمي نسيب وهو يسألني كل اسبوع عنه فكيف

تريدين ان القيه بين اوراق المطبخ؟

- آه هذه الجريدة العربية خذها حالا واحرقها فان نسيب

قد اصبح مجنوناً من يوم مطالعته هذه الورقة فهو كل اسبوع يملئ

آذاننا باخبار جديدة وارا، مضحكة فهو تارة يقول لي ان اتعلم العربي

وتارة يعطيني اوامر كيلا اقف على الكشف مرة يعارضني اذ يجديني

احادث شاباً على خلوة ومرة يأتينا منشداً اشعاراً يقول عنها انها

اسمى من نفس موبى وارفع من خيال هيكو وانا احتمل تشدقه فلا

افهم غير قرقرة القاف والضاد والعين فاخاف على اذني ان تسد .

والبارحة اتانا بنعمة جديدة هو يريد ان البس قطعة ديا احضرها

من جهنم .. وقد لبس ثوباً شديداً الشبه بملبوس الايطاليان الذين

يشتغلون على الطرق وهو يقول ان هذه الاقشة هي مصنوعات

الوطن ؟

خذى هذه الورقة بالله عليك لانني اخاف ان يطلع عليها نسيب

ويكون بها وصفة جديدة تأتبه مجنون جديد .

وأخرجت الجريدة العربية من غرفة المتفرجة محمولةً على ايدي مريم

وهي لا تدري ان بها شرارة الحياة لبلاد تفتح عينيها للنور . القيت

الجريدة في النار فالتفت ومريم ناظرة الى لسان اللهب الازرق المتلاعب في الموقد وهي لا تدري بان تلك النار هي روح الوطنية وانفس الكتاب السائلة كقطرات الدمع على تاخرنا وضلالنا . وهناك في الغرفة الواسعة كانت اولغا قد اخذت من جنبها كتاب «صفحة غرام» بقلم اميل زولا واستغرقت في القراءة معجبة بالسموم التي كانت تدخل لقلبها ضاحكة من جنون اخيها وحبه للجزايد العربية .

وما لبث حتى فتح الباب على مهل ودخلت الخادمة قائلة :

- سيدتي اتى جميل .

- اين هو ؟ دعيه يدخل حالا

واذ ادارت مريم وجهها لتذهب استوقفتها اولغا قائلة :

- اين امي يا مريم ؟

- هي في غرفتها تلبس اثوابها لتذهب لزيارة مدام بطرس ،

- لا تقولي لها ان جميل اتى دعيها تذهب فعند رجوعها تراه .

- امرك يا سيدتي .

وما توارت الخادمة خلف الباب حتى وقفت اولغا بتحذير ليلا

تقطع الشريطة الماسكة طرف المشد بربطة الساق فتراجع ردفها

قيد ذراع الى الورا . وانحنى صدرها الى الامام وبدأت تتخطى في

الغرفة كأنها ساجدة في الهواء . واستوقفت المرأة انظارها فلبست وجها

جديدا يلائم حالة الملقى ثم ركضت الى المقعد وارتدت عليه مرتبة

طيات نوبها بكل أن !

فتح الباب ودخل جميل حاملاً بيده علبة مذهبة الحواشي وتقدم
حتى لاصق ركاب اولنا فبقيت جالسة « مودة افرنسية : السيدات
لا يقمن للرجال »

رأت اولنا سيدات الافرنج يفعلن هكذا في المحافل الرسمية
فخيل لها ان هذه العادة مقبولة بكل ظرف حتى مع الحبيب !!
هكذا تعودنا ان تمثل بالاجانب .. كل شي من وجهه
القبيح .

اهتزت اولنا على مقعدها دلالة على فرحها ومدت يدها الشمال
بحركة مرتعة فاخذها جميل ورفعها الى شفتيه فقالت :
- اهلاً وسهلاً . اي متى حضرت لبيروت ؟ .

- بقطار الظهر
اول كلمة نطق بها الخطيب امام خطوبته كانت كذباً !! وصل
جميل بقطار الصباح وسارتوا لمشاهدة احدى الغانيات قرب مرسح
التريانو وبعد ان مضى معها الساعات الطوال توجه لسوق الطويلة
واشترى العلبة هدية لاولنا واتى لديها قائلاً انه وصل بقطار بعد
الظهر !!!!

- اجلس هنا قربي . . . وقل لي اي متى نسافر ؟
ثم التفت انظارها على العلبة فلم تعد تستطيع الصبر لسمع الجواب

فاردفت - ما هذه العلبة ؟

- هي اساور احضرتها لك تقدمة ارجو قبولها .
- لاسبيل للرجاء فقبولها مني واجب عليك .. اي متى نسافر ؟
- حالاً بعد الزفاف اذا شئت .
- واي متى الزفاف ؟
- الاحد القادم

وطال الحديث بين الخطيين .

قاربت الشمس ان تقرب ووالدة اولنا لم ترجع بعد من زيارتها .
 قام جميل قاصداً البيت في لو كندة اميركا فوقفت اولنا وشيعته الى
 الباب وهناك تعانق الخطيبان والحادمة واقفة على قمة الدرج تنظر
 اليهما وبينيها بارقة نار خضراء ..

هذه القبلية المتبادلة بين الضلال والدوطة . بين الخداع وحب
 المجد . هذه القبلية الباردة بين شفاء المتمدن والمتمدنة كانت عربون
 اتصال تحمل عليه البركة الالهية وتجعله مقدساً ... وهناك على سفح
 لبنان في حقول المزرعة الهاديثة كان صدى القبلات المحفوظة في
 تموج النسيم يدوي مع خرير الغدير كنواح الغادة التي تجبل خبزها
 بدمها وتمزج شرابها بدموعها ..

..

..

وكانت الباخرة الافرنسية تتأهب للاقلاع من ميناء بيروت
والزوارق تتوارد اليها زرافات ووحدانا وقد اختلط المودع بالمسافر
ووقفت الام جنب ابنتها والابن جنب ابيه ، الصديق قرب صديقه
والحيية قرب الحبيب وكلهم شاخصون الى السماء كأنهم يستطلعون
ما كتب لهم في المجهول .

من يدري ان لم يكن بذلك الملتقى اواخر القبلات واوائل
الدموع التي لا يحففها غير الكفن .

على ظهر الباخرة كان كاهن وشاب واقفين ويد كل واحد منها
بيد صاحبه وكلاهما شاخصان الى قم لبنان العالية .

وكان الشاب يقول للكاهن :

لا تلق الملام على شبان سوريا المتخرجين في المدارس فهم اتعس

شيية في العالمين . دعهم يذهبون واذا ضاقت بهم الحال يجدون

معملاً يشتغلون فيه اما اذا مكثوا هنا فلا معامل ولا مآدان ولا زراعة

راقية فاما ان يضربوا بمعاولهم الارض او انهم يطوفون في البلاد

باجساد انحلها الهم وفوس تنتظر الفكك من اسر الحياة . لبنان لا

يحتاج لمثل هذه الثمرات الساقطة على الارض وقد عبث بها الهراء

لأنها ناضجة قبل اوانها فنضة لبنان لا تقوم الا بقوة الايدي العاملة

والاجساد الشديدة التي كان يجب ان تخرج كنوز الارض وها هي

تتدفق من جبالنا العالية الى شاطئ هذا البحر ليحملها الى قلب العالم الجديد .

- انت تطلب عذراً لنفسك ياسعيد فلا اراك مصيباً بكل ما تقول .

- انا مقتنع كل الاقتناع بما اقول وهذا برهاني : قبل ان تجربني الظروف على الابحار قبل ان اصرف اخر درهم ابقاه لي ابي بعد وفاته وقت مراراً على هذا المرفأ اتأمل بالمهاجرة في حين لم اكن من طلابها فكنت ارى ابناء الوطن بل نسمة وروحه يبارحونه جسداً تخلته الادواء فالقي على الاجساد القوية الضخمة المملوءة شدة حياة نظرة اسف وتمرمر اما القسم المذهب الراقي من اخوتي فكنت ازودهم دمة ورحمة . كنت اشعر منهم بما اشعر به اليوم واتأسف على وطن يكفيه خموداً وعاراً انه يقذف عنه شعلة الذكاء المنزلة عليه برووس اتس ابنائه . فما اشبه حالة الفتنا اليوم يا ابي بتلك المغاور البعيدة الاطراف التي يسطو عليها الفساد الى درجة تطفي بها كل شعلة تلمع بديجوره الاربد . ولكم راينا من تلك اللغات ما بيننا لكم لاح لنا من نور يسطع وشيكاً ثم يتبدد بكربون الفساد فكانه لم يكن اين اديب اسحق ونجيب حداد واليازجي واي نفع ابقوه للبلاد بل اية حياة ففخوها في قومنا ؟ وهم لم يتركوا غير فئات اقلامهم تدخل الى صدور الشيبنة قد دفنها الى القنوط وتجرها الى

القبر فكان تلك الاقلام تحمل مع الفكر السامي ميكروب السل
الذي افنى تلك الاجساد التاعسة .

اذا بارح الوطن رجال العمل عن طمع وجشع وكسل وبعض
الضغظ فلا يبارحه رجال الفكر والعلم الأكرهاً وعن ملالة من الفة
تحتاج لا نباه ولد باكثر مما تطلب عقل رجل . تحتاج لمن يحسن
الجمع والضرب والقسمه باكثر من احتياجها لمن يحل صعاب الرياضيات
في موقف الاختراع المفيد والاعمال الكبيرة تحتاج لمن يكتب :
(بعد سوال الخاطر العاثر واصلكم صورة الحسابات !!)

باكثر من احتياجها لمن يلقى القلم على القرطاس فيغرد تغريداً تحتاج
لمن يعرف استجلاب البضائع الاجنبية باكثر من استعدادها لقبول اهل
الفكر والعمل المستقل الذي يخرج من الوطن ما يفيد ابنائه .
تحتاج لكل من ينادي بالمبادئ المقتبسة عن الاجانب بقطع النظر
عن ملائمتها للبلاد وترفض كل راي ينزع الى الافادة بارتكاز مبداه
على الحاجة الماسة وضرورة الوسط الحالي... .

ووقف سعيد عن كلامه بغتة كما ينقطع مطر الربيع حينما
يتساقط بشدة من السحب التي تلامس الجبال .

وكان رفيقه الكاهن يلعب باطراف لحيته واصابعه النخيلة ترتجف
بجركة عصبية تدل على تهيج شديد وبعد سكوت قصير فتح
الكاهن فاه وقال :

- لربما يكون بكلامك بعض الحقيقة يا سعيد فانت تظهر وجوب بقاء الفلاح العامل في البلاد لان وجوده ضروري لحياة الارض ولكنني لست من رأيك بعدم نفع الطبقة الراقية للوطن . اعلم يا سعيد ان الفة بلادنا واقفة بين خائنين وهما الغني الحريص يقضي ليله بلعب الميسر ونهاره بالرقاد على فراش الرخاء والكسل والفلاح الجاهل الطامع الذي ضربه طاعون التشبه والتطاول فترك ارض ابائه وذهب الى حيث يفتن بلبس السترة والبنطلون . اذا احتج المهاجرون المتعلمون بان المدارس التي لا نعرف واجباتها زرعت في قلوبهم كل ما يدفع للمهاجرة فبم يتعامل الفلاح يا ترى ؟ اما الطبقة المتهذبة الفقيرة في اراها الا سفينتا ضائعا بين بحر الشبب الهائج وزوابع الاغنياء ورعود صلفهم ومواطر ضلالهم . تلك الطبقة لا تقدر ان تدبر القوة الجاهلة لقصر اليد ولا يمكن لها اقتناع ذوي الثروة لفتح ابواب الاعمال المفيدة . شبيهة الوطن المهذبة هي العسكر المجاهد الذي يحتل كل الجراح في هذا المر الصعب فيجب عليها ان تثبت لتكون رابطة الاتحاد بين الصناديق المقفلة والارض المعملة يجب عليها الاتيان من الوصول يوما الى موقفها الذي تعده لها العناية السرمدية .

انا لا الومك لتركك هذه البلاد يا سعيد انت تهرب من الجولان بالشوارع والتعرض للفساد انت تهاجر كيلا تموت فيك القوة والموهبة

ولكن سيأتي يوم وهو قريب ينتصر العلم به على جهل العامل
وضلال المثري وحينئذ يصير كل شاب متهدب وعالم مسئولاً امام
وطنه اذا بارحه، يصبح طالباً امام الله والالفة اذا هرب من موقفه
لانه يكون اذ ذاك جندياً جباناً يخلي الارض التي وضع للمحافظة
عليها نهباً مقسماً للاعداء ..

اذهب يا سعيد الى حيث قدر لك ولكن خذ مني وصية
واحرص على اقامها . لا تنفق كل خيانتك في بلاد المعجر لجمع المال
فقط بل تعلم من ارض العمل ما يمكنك نفع بلادك به اذا رجعت .
لقد مر الوقت وعن قريب سيحكمك البخار الى بعيد فليكن الله حارساً
لك ولا تدع افة اذ يسطو عليك . كلما قامت بوجهك صعوبة تذكر
الهك يا سعيد تذكر وطناك فانت مديون له . لا تترك هذا العش
الجميل خالياً من كل فراخه ..

..

نزل الكاهن الشيخ على سلم الباخرة وعيناه دامتان وجبينه
العالي مصفر كالشمس التي تلامس افق الماء آذنةً بالغيث . وما وضع
رجله على مقعد القارب حتى اصطدم بقارب آخر كان يشق الماء
بسرعة للوصول الى السلم فادار الكاهن وجهه فرأى احداً ابنا . وطنه
من المزرعة القريبة لقريته جالساً وقربه فتاة ضخمة ترفرف القبة

فوق جبينها وعلى وجهها نقاب صفيق يلاعبه الهواء فدهش الشاب
اذ رأى الكاهن وقال له .

- الوداع يا ابانا بطرس .

- جميل . . الى اين ؟

- انني من اميركا واليها اعود .

- لا يا ولدي انت من لبنان . قدر الله ان ترجع اليه .

- المستقبل لله ارفقنا بدعائك يا ابي

- مع السلامة وليكن الله معك يا جميل .

وكان جميل يتكلم وعيناه مصوبتان نحو المرفأ وجبينه يتقطب بمجرة
اغتصابية وفواده ينبض بشدة وهو يجتهد ان يخفي اضطرابه .

ضرب النوتي بمجذافه صفحة الماء فمخر الزورق عابه وسار تواً
بالكاهن الشيخ الى المرفأ واذ وضع خادم الله رجله على الدرج حانت
منه التفاتة فرأى ابنة قروية واقفة امام الحاجز الحديدي وبيدها منديل
غطت به عينيها وقطرات الدمع تتساقط من بين اصابعها الى الارض .

وكانت الباخرة قد صرخت بصوتها الايح معلنة المسير وارتفع
من داخلونها ضباب اسود كئيف فادار الكاهن وجهه لجهتها فرأى
صديقه سعيد واقفاً على المؤخر وبيده منديل يومي به اليه مودعاً .

فارتفعت افكار الكاهن الشيخ الى العلا وهو يناجي رحمة خالقه باسرار
الحياة وحالة لبنان . ولكن لم يطل وقوفه تحت جنح التأمل والصلاة

حتى سمع صوت زفير مقطوع وتهد متحرج فادار وجهه فرأى القروية
قد هوت على البلاط امام غرفة البوليس محافظ المرفا .

سقطت القروية على الارض وارتمت يداها برخاء على صدرها
المرتجف فلاح وجهها المصفر لعيني الكاهن كأنه شبح اليأس وخال
الموت قبين من تلك الملامح الشاحبه صورة سلمى تلك الفتاة التي
حالمًا رآها جاثية نجشوع في كنيسة قريته .

تألب الناس حول الفتاة واحتاطوها باحداقهم فتقدم الكاهن دافعاً
الجمهور بلطف حتى وصل قرب سلمى وكانت غائبة عن رشدها فاخذ
بيدها طالباً معونة احد الحالمين رافعاً اياها بين ذراعيه الى خارج
المرفا وهناك وضعها في عربة وسار بها الى احدى اللوكندات القريبة
تتبعها انظار الحضور وكان ما بينهم شابٌ مرتدٍ اخرزي وبيده
قضيب خيزران يلاعبه فقال :

- لا يمكن ان يسطو الهرم على هؤلاء الغربان وما كان اولى
ان نسيمهم نسوراً فهم يجددون شبابهم امام كل فتاة وسيدة !! .

في احدى غرف التزل العلوية المطلة نوافذها على البحر كانت
سلمى ملاقة على السرير واجفانها تآبي الارتقاع عن نور عينيها كأنها

تضن عليه ان يختلط بنور الحياة .

وكان الاب بطرس جالساً على المقعد بعيداً عن السرير يتطلع من النافذة الى البحر ويعود ملثماً انظاره الهادية على وجه القروية الشاحب وافكاره تائهة بين العالمين تسقط كالنسر لتتنظر الارض عن قريب وتعود محلمة مثله الى السحاب فتفسح امامها مجالات المنظور .
كان الكاهن اذ ذاك بحالة لا يدركها الا فئة قليلة ممن يصدقون بالغير المتناهي .

كان يفكر بالمادة ونظامها فيراها محسوسة امامه ولكنه لا يرى غير قسم صغير منها لا يرى غير الوسط الذي يحاطه فترتبك مباديه ويتململ ثم يدفع التامل بقوة الايمان الى ما فوق فتضعف افكاره كأنها نور ضعيف بين الضباب فيرى المادة كلها والالفة بأسرها . يتبين شرائع الانسان ومطامعه وسميه وجهاده ولكنه لا يتمكن من شبر هذا الغور البعيد .

المفكر كالنسر يلمس المحسوس لمساً فلا يرى الا دائرة محدودة لا يتجاوزها بصره . يريد ان يرى كل شيء فيخلق في عالم الخيال واذ يصل الى اعلى ذروة يتسنىها الفكر يلقى نظره على الارض فيراها منسطة امامه واسعة الارحاء يحدها الافق من جوانبها الاربعة . . ولكن . . ماذا يرى ؟ يرى كل شيء ولا يرى شيئاً . . تكاد الجبال تنور في السهول وتختلط الامواه بالصحراء القاحلة فلا تتبين عينه

المحدقة بارادة المعرفة غير مجرم بعيد لا يفهم منه شيئاً .
هذي هي الدنيا واسرارها امام العقل الانساني الذي يزيد ان
يفهم خفايا العناية الازلية المدبرة الكون تحت مظاهر الظلم والشقاء ،
تلك القوة الغير مفهومة التي تنزل الرحمة دموعاً والسرور شقاء والكرامة
هو اننا .

اذا اراد الفيلسوف ان يعرف الدنيا واحوالها بواسطة الاستقراء
الحسي فانما هو لامس جزءاً صغيراً من الطبيعة المنظورة هو يستقري ،
هو يلمس ولكنه لا يلمس اكثر مما تصل اليه اليد في هذه الدائرة
المحدودة التي يسمونها افق العقل المادي . . فتكون احكام المفكر
بهذه الحالة صحيحة على ما يرى وفاسدة على ما لا يرى . . . اما اذا
ارتقى الى ما فوق ليجث فهو بعيد جداً عما ينظر يرى كثيراً ولا يفهم
شيئاً . يشمر بالحقيقة ولكنه لا يلمسها . يتأكد بان الارض ليست
الاشباح وهمياً يسبح في الاطلس الفسيح وحقيقة ذلك الخيال ثابتة
الى الابد في مكان مجهول . . . يقتنع ويؤمن ولكنه لا يتمكن
من اقناع سواه ممن لا يصدقون بغير ما يلمسون .

الشيء على تلك الذروة العالية كان الكاهن الشيخ واقفاً في تلك
الساعة ناظراً الى ما وراء افق البحر الى السينة الحاملة المجرم المتمتع
بالحرية ولذة اللقائم وهو يدهم امرسته ولا موالها ثم يلقى انظاره على
القروية النجيلة الفاقدة الرشيد الساقطة وهي بريئة تحت حمل الشقاء

والراحة تحت ضربة القضاء الهائل .

كان الكاهن يرى بعيني جسده بشقاء المهانة وسعادة المهن اما روحه المرتقة الى ما فوق فكانت ترى غير ذلك كانت ترى العروس وعروسته محاطين بضباب اسود كثيف والقروية المخدوعة المتروكة محاطة بهالة النور اللامعة التي تكال رووس الشهداء ولا تنظرها العيون الترية .

تلمات سلمى على فراشها وفتحت اجفانها وكان الظلام قد هجم بطالائه على المدينة ودخل منه ضباب رمادي الى الغرفة. فتحت عينيها وشخصت الى السقف وهي تقول .

- جميل آه ما اقساك .

فوقف الكاهن على مبل وتقدم الى قرب السرير وقال بصوت الطيب الذي يكلم جريماً :

- لقد اكرت من ذكر جميل وانت غائبة عن الرشد يا سلمى فعرفت سرك الهائل . اقتحي عينيك واجلسي يا ولدي فقد انت ساعة التمزية بالله .

فحدقت الفتاة باصارها واذا تبينت قربها شبح الكاهن الاسود تراجعت الى زاوية السرير وغطت عينيها بيديها وتمدت بصوت خافت يرتجف خوفاً :

-- الى اين تتبعني ايها الرجل ؟ لقد رميت بنفسي الى قعر البحر

تخلصاً من عذابي وما انت واقف امامي لم تزل تطاردني اذهب عني . .
 دعني في سكون الموت . . احترم الفناء اذا كنت لا تعتبر
 الشقاء . . .

فوقف الكاهن مبهوئاً مما يسمع وقد داخله شك هائل !!
 - اي رجل تعين يا سلمى ؟ انا الابد بطرس كاهن قرية . . .
 انا ابوسعدى صديقتك . انا الذي باركت زواج ابيك وامك انا الذي
 سكب ماء المعمودية على رأسك فلماذا تخافين مني ؟
 وما سقطت هذه الكلمات على قلب سلمى الجريح حتى جرى
 الدم بشدة في عروقها فجاست وفركت عينيها كأنها مستفينة من حلم
 عميق وقالت :

- الابد بطرس . . . ابوسعدى . ويلاه اين انا .
 وادارت لحاظها في جوانب الغرفة كأنها تقش على مهد فتوتها
 على الخنول الجميلة والكنيسة البسيطة . لمعت عيناها لحظة وعاد اليها
 الجمود فانطرحت على فراشها اذ وقعت امامها تلك المنحة السوداء
 التي كتبها الزمان ولم تعد تقوى على محوها يد بشرية . انطرحت
 بكل قوى اليأس وهي تقول :

- اذهب ايها الماكر انا اميتك دعني . لتد كفاني الخداع الذي
 احتمل ويلاته من الدنيا فلا اريد ان نشترك السماء بالغضب علي ؟ ؟ ؟
 واخذت الفتاة تردد كلمات منقطعة غير مفهومة والكاهن الشيخ

واقفٌ يعلو دمهوعه سائلةٌ يبطء على لحية الطويلة البيضاء.

أُثِرت الغرفة .

وكان الكاهن الشيخ واقفاً امام النافذة وسلمى جالسةً على المقعد . وكانت تتكلم بصوت مرتجف وفي عينيها لمعات تلوح وتنطفئ كآخر شعاع الشمعة الذائبة .

- نعم يا ابي بعد ان هربت من زرعتي المحبوبة حاملةً لعنة والدي على رأسي ودموع امي بقاى بعد ان ودعت ابتسامة اختي الصغيرة وتغريد شحارير الحقل الذي شرب عرق جيني سنوات عديدة بعد ان طوى الدهر صفحة فتوتي وعفا في حضرت الى هذه المدينة مفتشة على قاتلي فوجده يتأهب الزفاف وجدته في لوكندة اميركا وغرفته مملوءة بالاثواب الجاهزة لعروسته فانطرحت على اقدامه ووضعت يده على قباى ليسمع فيه نبضات قلبين فكان جزاى الطرد والاهانة وبعد يومين من ذلك الملتقى الهائل شهدت حفلة زواجه ذليلة صاغرة ورجعت الى النزل وعلى رأسي جبال من الحزن فرأيت هنالك رجلاً يعتبره الناس وهو يتكلم عن الدين والتقوى والادب وكانت غرفته ازاء غرفتي فاردت ان افتح له قباى واطالب منه مشورة ورحمة فكانت

تزية هذا الفاضل لي أهلة لاشجاني وتطاولاً على جسدي المضي .
وقد كان لابساً ثوباً يشبه ثوبك يا ابي ولهذا ذعرت اذ قبحت عيني
ورأيتك فاغفر وقد عرفت السبب .

لقد قال لي جميل ان الفضل ليس الا ستاراً للفضائع فلم اصدق
ولكنني في ذلك االين شككت بوجود الله وقد احتجرت الدنيا
ومن عليها فقدت متاعها من يد الرجل هاربة تائمة على ساحة البرج
وهناك استوقفتني مناظر مريضة هناك رأيت وردة ابنة القرية المجاورة
لنا لابسة اثواب الحرير تتخطى حكمة ثائلة وكنت احسبها من
قبل ميتة اذ سافرت من قريتها ولم ترجع ولم يسمع احدٌ عنها شيئاً .
ادخلتني الى غرفتها حيث مجالي الفصفخة والراحة وبعد حديث
طويل فهمت من الدنيا ما لم اكن اعرفه من قبل . عرضت علي وردة
البقاء معها فرفضت وقلت لها انني اريد الموت قلت لها ان جميل مسافر
غداً مع عروسته فاريد ان اتي برفقي الى البحر الذي سيحمله .
بكيت كثيراً وكنت خائفة واجنة في ذلك المكان الذي ترتفع حوله
جبله الفسق واصوات المدينة المسكرى فاردت الخروج ولكن وردة
لم تتركني تعلق بشويي قائلة :

- ابق هنا يا سامي . ثلبي على سريري آمنة من كل طاري
فانت الان في حرم صديقة طفولتك لقد اشتغلنا ستين في معمل
الحرير فلك على حق الرفيقة وواجب الصداقة نامي يا اختي وهأنذا

ذاهبة لا قوم بفروزي الشقيلة الهائلة ولا بُدَّ ان تعرفي يوماً ماهية
هولها يا سلمى .

ذهبت وردة واقفلت الباب وكنت تعبئة محطمة من اليأس
فاستغرقت في نومٍ ثَقِيلٍ حتى الصباح .

في وسط الفساد والضلال كنت آمنة على نفسي وفي المجتمع
الظاهر الظواهر لم اكن غير حمّامة في مخالب النسور .

بت الهوى حمّتي وفاض الناس اراد اهانة روعي الجريحة
ليأخذ من ضعفها ما يسلي بطره وضلاله .

انا مذنبه يا ابي اما جميل فمجرم .. هو دَفَنِي الى الضلال مفسداً
اعتقادي اولاً ثم توصل الى الخاق الدنس بي فترك في احشائي نطفة
حياته وتبرر منها .. فهاأنذا ارملة وزوجي حي .

هو مكرمٌ من الناس يتزوج بمذراء ولا يبتعد احدٌ عنه وانا
مطرودة مهانة لاجسران انظر الى السماء ويخال للناس ان لاحق لي ان
امشي على ارضهم .

لا افهم يا ابي ماهية هذا العدل الذي يرحم القتاتل ويجور على
المتنول .

جبال لم يحنظ شيئاً من نتائج فلتته وانا احمل ثمرة افساده لي
ولهذه الملة يقول الناس ان جرمي اشد فظاعة من جرمه فكأن هذه
الدنيا لا تجور الا على الساقط تحت الظلم .

مهلاً يا سلمى انك كانت عماوة الناس لا ترى الخطيئة الا على
عائق المظلوم التعيس فالشريعة السماوية ارفع من ان تحدد الامور
كما يفهمها الانسان الضال . انت مذنبه عن ضعف وجميل مجرم عن
قوة اذا كانت المادة تظهر للنظر ان جميل اعطى وانت اخذت فالعقل
يرى غير هذا . انت اعطيت قسراً وجميل اخذ جبراً انت مسروقة
وهو سارق . ولكن شريعة الفادي لحي مبنية على المغفرة يا ولدي
اغفري يا سلمى فهذه الفضيلة التي تصير الرجل عظيماً ترفع المرأة الى
اوج الالهية . انظري الى ما فوق يا ولدي فان الفادي لم يأت
الارض لاجل الاصحاء بل لاجل المسقومين اتى ليرسم نقطة واحدة
على الفكر البشري وتلك النقطة هي المغفرة والامل فلا تتركي
الشكوك تتسلط على ايمانك لان المشتري الكبير قد اتى لاجلك
ولاجل اخوانك في الشقاء وهم يفتون بدموعهم وجه الارض .
واخذت سلمى رأسها بتعب كزهرة اضناها الذبول فلم تعد تقدر
على احتمال النسيم الرطيب الذي سيجعل اليها الحياة . وبقيت برهة
ساكنة ولكن قلبها الجريح لم يلبث حتى دفع الدم الى جسمها بشدة
فرفعت رأسها وقالت .

لما كنت على الرفا اذ يد خادعي بنظراتي الاخيرة كدت ان
اصرخ هذا قاتلي اوقتوه ولكن قوة سرية اغاثت فمي فرايت ان
الناس كلهم ينظرون الي شذراً رأيت الشيوخ يرمون علي نظرات

الاحتقار والشبان والكهول يجدوني بلفتاتهم فاري على مرآة
عينهم صورة المشاهد التي يطعمها الفساد على ادمغتهم حين مراهم
فتاة مثلي يمكن التلاعب بحقارتها واغتنام الملاذ من الامها وهوانها .
رفعت نظاري الى ما فوق فردّها اعتقاد الناس بي الى اسفل
نظرت الى البحر الحامل بحمّ الطمع هارباً من وطنه وذراعي القناعة
والحب المفتوحين له نظرت الى هذا الازرق البعيد الذي يسرق
شباننا من بلادهم كما يقتلع حبهم من قلب فتيات لبنان فاحيت ان
ا طرح بنفسي الى اللجة اردت ان اغرق واموت حيث مرّت سفينة
قاتلي فخفضت من الناس الواقفين حولي ولم اذكر خالقي لانني لم اعد
اخافه بعد ان رأيت جيلاً لا يخشاه .

في تلك الساعة يا ابي حينما يصبح الانسان مخيراً بين الحياة
والموت في تلك الدقيقة الهائلة وقف شبح وردة امامي وقد فتحت
ذراعيها العاريتين وهما مطوقتان بالاساور الذهبية التي رنت باذني
كصوت جرس مزرعتنا حين يدوي في الليل لينبي بموت صديق
او قريب . . رأيت وردة تنظر الي وتبتسم فادرت لحاظي عنها
الى وجه البحر العابس المتجمد وارتمشت معاطفي فبكيت لانني لم
ار غير وردة والبحر . الحياة التي اخاف منها والموت الذي احبه بقلبي
وابتعد عنه بقوة لا اعرفها . وكأن نفسي المتراجعة عن موت الحياة
وحياة الموت وقفت مترعزة امام المجهول فشعرت بها كأكرة نور

تتحول بفترة الى ظلام منحل . سقطت على الارض في حين ظهر لي وجهك يا ابي ، رأيتك ولم اعرفك لان السراج الوحيد لا يمكنه ان يبدد ظلام حياة دخلت في الليل ولم تعد تقبل النور .

وكان صوت سلمى يرن ضعيفاً في غرفة النزل الضيقة لانه كان اوهن من ان يموج دقائق الهواء الفاسد المنتشر بين الجدران الواطئة . ولكن اذن الكاهن كانت تسمع ذلك الصوت كأنه قهقهة الرعد ودوي المدفع فكان يلتفت الى جهة الباب خشية ان يسمع احد ذلك الكلام الذي يجب ان يهز الكرة لترتجف له الارض .

وبعد ان وقف الكاهن متأملاً قال لسلمى وقد وضع يده على كتفها وقال بكل وقار خادم الله وعفاف الشيخ :

- لماذا لم تطالبي جميل بحقوقك والقانون يقضي عليه بالتعويض ؟
- انا لا اعرف القانون يا ابي ولكنني سالت فقيلي ان دون الوصول الى الاثبات عقبات هائلة يستحيل على الحقيقة اجتيازها فلا اربح سوى احتقار الناس والفضيحة والشنار واخر ما يصل الي من التعويض عن حياة اصبحت لغواً هو بضعة دنائير يذهب بها العار ليسطع لامعاً بدنائته امام الالفه وقلبي المخدوع . عبثاً تخرج الشرائع من مصدر الحق السامي اذا كان البشر لا يفهمون قوة العدل . ماذا يهمني اذا انتصر لي القانون وهو حين يبرز حكماً على الجريمة يضحك

منها الجاني وتريد بها جراح المُجنى عليه . ماذا يفيدني حكم العدالة في المحكمة والمحكمة الكبرى المؤلفة من الشعب كله ظالمة عمياء لا ترى الجرم الا على كاهل الضعيف ؟
وكان الكاهن يفتكر .

في الشريعة روح سامية تتجلى على المواد لتجعلها حية تدير عنان الاحياء والناس يقرّون بوجود تلك الروح الازلية التي انزلها الله على اقلام المشترعين ولكنهم يخالفونها كل يوم ليس بافعالهم فقط بل بمبادئهم ايضاً . بكل حركة وكل رأي نرى مخالفة عادات الالفة للشرع فهي تقرّ به اقراراً ظاهرياً ولكنها تعتقد بالامور كما تشاء . بكل شريعة وُضع عقاب للرجل الجاني على العذراً ولم يوضع عقاب على المرأة الجانية على الرجل لان منذ تشكيل المحاكم البشرية حتى اليوم لم يقيم رجل دعوى على امرأة اغتصبته ذلك لانه يكون دائماً متعدياً في حين ان المرأة تكون غالب الاحيان مخدوعة مهانة ومع ذلك فالتناس لا يفهمون واذا وجدوا خائناً وخائنة فهم يحولون كل احتقارهم الى هذه ويجدون اعداءاً لذلك !!

منذ ايامٍ قام احد الكتبة المفكرين شارحاً تساوي الجرم بالخداع بين الرجل والمرأة واراد ان يعارض رأي الالفة بتبرير الرجل والقا كل الذنب على المرأة فانتصر لما آل الشريعة الشاملة ميئاً مطابقتها للواقع المحسوس من حيث المبدأ والنتائج . قصد ان يجعل الرأ

العام مطابقاً للحقيقة . اراثة ان يقوم بهذه الخدمة فمارضه قسم كبير ممن يعتقدون بابقاء حاجز الجهل بين الفكر العام والشرعية الشاملة السامية .

التفت الكاهن بالفتاة وقال لها .

— ساتركك الان يا سلمى فتأني الى الغد والله المدير الامور يسهل امامك سبيل الخلاص .

— نعم يا ابي سأنام الى الغد ولكن في احضان الجزع والشقاء ولا أومل من الله شيئاً لان الله انما يوصل الى الناس عدله بواسطة الناس وهؤلاء قد فسدوا فلا يصلحون رسلاً لرحمة خالقهم . لم يبق امامي غير وردة والاستخدام والاستعطاء ولربما فضلت الحالة الاخيرة .

خرج الكاهن متعجباً من حديث سلمى وهو لا يفهم كيف ان الشقاء يولد الفلسفة حتى في أبعاد الناس عن العلم .

انطرحت الفتاة على فراشها واستغرقت بالبكاء ولم يلبث حتى سادالوسن على عينيها المتعبتين وكان الكاهن لم يزل بعد ساهراً يصلي وهو يجول بافكاره على الالفة السورية ليرى بها موضعاً ينصرف فيه الضعيف الساقط ليجد مكاناً يقدر به الشريف ان يفضد الضال التعيس دون ان يُرمى بالحيف وسوء الظن ، خال طويلاً حتى عثرت اماله ورأى نفسه وهو رسول الدين الامر بالرحمة والغفران عاجزاً

عن مديد المساعدة لأولى الناس بالبر والاشفاق مقيداً بعوائد الالفه
واعتقاداتها التي انفصلت على كل جميل وعظيم . فاحنى رأسه
بتعب وقال واليأس يكيف مقاطع صوته .

- اذا ضاقت مجالي الاسعاف على الدين والادب واذا اصبح
الدين عاجزاً عن احياء النفوس الهريه لان الناس تريد قتلها وتتهم
بالضلال كل من يناصرها فقد بقي وجه واحد اساعد به المخدوعه
التاعسة .

وفتح الكاهن همياته فوجد به خمسة دنائير قلبها بيده وقال :
في العالم دولتان دولة المادة ودولة الروح وقد اصبحت الارواح
مهانة كيفما اقبلت حتى لا يمكنها ان تحسن بعد . فليس من قوة لغير
المادة في هذه الالفه التي ضعف بها كل شي ، لا يكون محسوساً .
ولهذا اُحصِر الاحسان في الدرهم ممتاً كل شفقة ادبية ومساعدة
روحية تجعل النفوس عاضدة للنفوس .

كثير من الناس من يضحك مع الضاحكين لان الضحك
اشترك المادة مع المادة ولكن اين الذين يكون مع الباكين ؟ اين
الصديق على شقاء الصديق ؟ اين الابن على عجز ابيه ؟ اين الحبيب على
قبر حبيبته في هذه الالفه الجاشعة المسكينه التي يقتلها الطمع وهي
ملقاة على حضيض الهوان .

- اين الذي يجلس مع العشارين ليردهم الى الحق الرفيع . اين

الذي لم تدنس قدماء من دموع الزانية الادمه !!
 وانا خادم ذلك المحسن العظيم الذي ظهر على الارض، انا الذي
 حصرت واجباتي بشفاء جراح النفس اينما وجدت اجدني مقيداً بماوة
 الالفة التي تحيط بي . كان يجب ان اخذ سلمى الى بيتي واساويها
 بسعدى ابنتي ولكن خان نفسي لا يمكن له ان يبرر جسدها فهي
 امام الناس شقية ساقطة ودنس جسدها يوصل الاذى الى كل عياني
 فنسقط كلنا معها ولا نقدر ان نرفعها .

وبهت الكاهن برهة طويلة كانت مبادي المسيح بها تناضل
 ضد عوائد الالفة وضلالها ولكنه رفع رأسه اخيراً وفي عينيه ذلة
 المنكسر وقال :

عفواً يارب فقد امتنع عليّ ان اكون خادماً لمباديك الالهية
 بروحي وقلبي فاسمح ان احصر احساني بهذا المال القليل الذي
 اصبح وحده مدار البشرية بعد ان اشتريتها بدمك وعززتها بروحك
 الازلية . وكثير من امثالي يرضون على اخوتك التمساء حتى بهذا
 المعدن الزائل ..

مرّ شهران على هذه الحوادث .

في اسواق بيروت المكتظة بالناس كانت امرأة شاحبة اللون غارقة العينين حاملة طفلاً على ذراعها وهي تتوسل الى المارة باسم الله والولد ، باسم الدين والرحمة . هي ترتجف من الضعف واثوابها ممزقة تسترجسماً كان منذ اشهر قلائل كدمية الرخام ممثلة بمجموع الجمال تدلي شعرها الاشقر قصيراً على كتفيها وقد فقد لمعانه . اختلط بنور عينيها قتام مهيب فهي ظلمة متوهجة يخشع امامها الناظر .

اذا كانت لفتات العلماء والشعراء تدخل الاعتبار في قلب الناظر اليهم ففي لفتات المجانين ما يولد الخشوع والارتعاب . اذا دلت العين التي ورأها قوة مفكرة على وجود نفس سامية في الانسان ففي العيون الجامدة وقوة ضعفها المذيب برهان لكون النفس الناطقة لان لا شيء ادعى الى ظهور القوة الخفية من وجود العذاب فيها .

لوعاد جميل من وراء الاوقيانس البعيد وراى هذه المرأة حاملة ابنه متسولة على قارعة الطريق هل يعرف بها سلمي يا ترى ؟

لو مر اللبناني قرب هذه المرأة وهو يعرف روايتها فهل يجود عليها بدرهم ذا كراً انها صورة وطنه المخدوع الضائع مثل هذه الفتاة التاعسة في

احضان المدينة القاسية ٠٠٠

هي شريدة وحيدة بين هذه الالفة السائرة وراء السعادة وقد
نضب ماء وجهها مع مياه حياتها وكل من عرف حالها يلقي عليها الملام
ومن القساة الجملة من يعنفها ويلعنها ٠٠٠
هكذا تفهم الالفة ماهية الجرائم فأكبر المخلوقات اثماً لدى
الناس من سقط ليتعذب ٠٠

انتهى





PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

THE ABU SHADI
MEMORIAL LIBRARY

PRESENTED BY

CHARLES A. DANA, JR. '37
H. H. PRINCE SADRUDDIN AGA KHAN
COUNCIL ON ISLAMIC AFFAIRS





32101 073506717